

روايات مصرية للجيب
مكتبة
TELEGRAM NETWORK
2020
28
أسطورة آخر الليل
ما وراء الطبيعة



TELEGRAM
NETWORK
TELEGRAM
NETWORK

مقدمة

أنا د. (رفعت إسماعيل).. سبق لي أن قدمت نفسي إليكم عددًا من المرّات يقرب من الثلاثين مرة.. تصوروا هذا!

ليس الأمر ناجمًا عن شكي في ذاكرتكم - لا سمح الله - لكنه لذوي الوجوه الطازجة الذين يجلسون على مائدتي للمرة الأولى.. وعساها ألا تكون الأخيرة!

ماذا أحكي لكم اليوم؟

سأضع أربع وريقات مطوية.. كتبت على إحداها (آخر الليل) وعلى الأخرى (المزييرة).. وعلي ثالثة (فرانكنشتاين).. وعلى رابعة (الدمية الشيطانية)..

هي ذي الأوراق وقد خلطتها بعناية..
أريد من أحدكم أن ينتقي ورقة منها.. لندع للحظ وحده أن يختار حكاية الليلة.. فكلها قصص متساوية في الجودة والطول...
هيا! لا تتردد هكذا.. فلسنا بصدد الاختيار بين الحياة أو الموت.. إن هي إلا قصة أخرى قد تنجح في إمتاعكم أو تفشل.. بعدها تقول: «هذا العجوز طريف حقًّا..».. ثم تعود لدارك ناسيًا الأمر برمته، وتمارس حياتك المعتادة..
هذه الورقة؟ حسن.. دعنا نر ما بها.. آه! (آخر الليل).. لا بأس.. فهي قصة شائقة إلى حدٍ ما، ولسوف تحبون سماعها..

إنها قصة أخرى من سلسلة القصص التي لم يكن لي دور فيها سوى السرد.. وأعتقد أنّ هذه القصص ستستمر حتى العدد الثلاثين.. بعدها أعود إليكم.. لا تبتئسوا**!**.. إن (رفعت إسماعيل) هو قدركم الذي لا مفر منه ما دمتم أحياء وما دام حيًا..

هلموا إذن إلى عالم آخر الليل..

❋ ❋ ❋

١ - خطاب جديد..

هل تعرف هذا النوع من الأمسيات؟

لا أحد يطالبك بشيء.. لا أعمال.. لا واجبات اجتماعية.. لا مواعيد.. لا ضمير يؤنبك على إضاعة الوقت في كلام فارغ..

تجلس في الشرفة ترمق المدينة الناعسة التي أنهكها الكفاح، وتحسو قدحًا من الشاي، ومن المذياع ينبعث صوت (أم كلثوم) المفعم باللوعة يدغدغ كل آلامك (أعتقد أن أم كلثوم لا تسمع إلا ليلًا.. وعلى محطة يشوبها بعض التشويش الاستاتيكي)..

كان هذا هو العام ١٩٦٩ كما هي العادة..
أمسية شتوية باردة، وأنا الوحيد الذي يجلس في الشرفة في أمسيات الشتاء حيث ذلك المذاق الحزين للهواء المغسول..
أحب أن أظل مختلفًا عن الآخرين..
أحب ألا أكون (آخر)..
وفي قلب هذا المناخ الفريد من نوعه، أزمعت أن أقرأ خطابًا جديدًا من حشد الخطابات الذي انهال عليّ من جهات الأرض الأربع.. وبمجرد أن بدأت أنال قسطًا من الشهرة..
وهي شهرة لا تقدم لي مكسبًا ما.. لا تجعلني ثريًا.. لا تمنع رجال المرور من خراب بيتي بالمخالفات.. ولا تمنع بائع

الخضر من غشي.. ولا تمنع جاري الأستاذ (زكريا) من توبيخي..

لكنها شهرة على كل حال.. ثم من قال لك: إنني أبغي شيئًا من أي نوع؟

الخطاب الذي أنا بصدد الكلام عنه خطاب من مصر.. وكالعادة هو خطاب دسم أكثر من اللازم.. كتب في مائة صفحة (فلوسكاب) بخط جميل دقيق.. وهذا يعني - تعرفون رأيي - أنه خطاب من شخص يعرف كيف يتحكم في نفسه.. شخص يجيد مداراة مشاعره.. ويمارس نوعًا من (البصاق الفكري)..

الناس في كتاباتهم يمارسون (القيء الفكري) أو (البصاق الفكري)... والنوع

الأخير يمتاز بأنه إرادي.. ويمكن التحكم فيه..

ولكن دعنا من كل البصاق والقيء والإسهال، وتعال نطالع الخطاب معًا من البداية...

وكما تعودنا سأتدخل في لحظات بعينها لأعطي تفسيرًا ذكيًا لما يُقال.. وسأعود لكم بعد انتهاء الخطاب لأكتب تعليقًا حكيمًا يفسد كل لذة كانت في القصة..

نقطة أخرى: كما هي عادتي مع الخطابات التي كتبها عرب لن أذكر أسماء أصلية مكتفيًا بالترميز.. اتفقنا؟

القاهرة في ١٦ نوفمبر ١٩٦٩

عزيزي د. رفعت:

سمعت عنك الكثير، وسئمت هذه الصورة التي تحاول أن تبدو بها أمام الرأي العام.. لا أحب المدعين الذين يتظاهرون بالعلم والحكمة في أمور لا يمكن لأحد أن يزعم إلمامه بها.. ماذا تعرف أنت عن عالم ما وراء الطبيعة حتى تنصب نفسك حكمًا على أموره كما تفعل في هذا السخف الذي تقدمه تحت اسم (بعد منتصف الليل)؟

لقد رأيت صورتك.. وأعتقد أنك أكثر ذكاء مما توحي به ملامحك، لكنك أقل ذكاء مما توحي به كلماتك للأسف..

إن كل إنسان يتضح ويعرف كيف يقول (في الواقع)؛ يحسب أنه صار حكيمًا يلجأ إليه الحائرون طالبي الرأي الصائب..

سأضرب لك مثالًا على جهلك يا طبيبي المسكين..
ماذا تعرف عن الجاثوم؟

*   *   *

٢ - مجرد كابوس آخر..

الجاثوم:(Incubus) روح شريرة يُفترض أنها تنام فوق الأشخاص في أثناء نومهم، كابوس، شخص يثير الرعب ككابوس.

[قاموس وبستر الشامل]

* * *

عزيزي د. (رفعت)..

هذا هو ما تقوله المعاجم اللغويّة عن الجاثوم.. وعلى قدر علمي فإن الجاثوم هو

جزء من معتقدات العقل الغربي، فلا مجال له في تراث المتحدثين بالعربية.. وإن كان يمكن فهم جذور هذا المعتقد بسهولة.. فالكابوس يجيئنا ونحن نيام - على ظهورنا غالبًا - بمعدة ممتلئة تضغط على الحجاب الحاجز، وتشعرنا بالاختناق.. فنئن في نومنا، وتحتشد حبات العرق على جبيننا...
ثم نصحو صارخين فنقول اللفظة الشهيرة:
- «شعرت كان ثقلًا يجثم على صدري..»
وأمامي ـ وأنا أكتب هذه السطور - لوحة من القرن السابع عشر، تمثل امرأة نائمة على ظهرها، والألم على ملامحها.. بينما

يجثم كائن شيطاني في حجم القرد الصغير على صدرها.. وعيناه تشعان شرًا..

اللوحة مرسومة بالحبر الأسود ولا ألوان فيها.. مما يعطيها كلها طابعًا مقبضًا كئيبًا.. ولا شك عندي في أنها محاولة بارعة لتلخيص ما تعنيه لفظة (جاثوم)..

إن الكوابيس مريعة..

وأشنع ما فيها هو أننا نكون عاجزين فيها عن اتخاذ رد فعل صائب.. فلا سيطرة لنا إطلاقًا على شخوصنا في الأحلام، لكننا نحتفظ بخوفنا عليهم وقلقنا من أجلهم...

* * *

الآن دعنا نقم بالتعارف الذي تأخر بعض الوقت..

الاسم: (هـ)..

السن: ثلاثون عامًا أو نيف وثلاثون..

المهنة: مدرس رياضيات..

الحالة الاجتماعية: متزوج لكني لم أنجب بعد..

سمات خاصة: لا شيء يميزني. فليس في وجهي قبح مميّز ولا جمال مميّز.. إن وجهي من تلك الوجوه التي هي غطاء للجمجمة لا أكثر.. كما إنك لا تستطيع تذكره أبدًا إذا لم أكن أمامك..

لكني - ولا فخر ـ أعتبر نفسي أذكى شخص عرفته.. ويضايقني كل هذا الحشد من الأغبياء الذين عليّ التعامل معهم؛ منذ

أن أدير وجهي لمرآة الحلاقة في الصباح.. وحتّى أراها من جديد في المساء حين أغسل أسناني..

إنني أعرف كل ما سيُقال أمامي منذ أن يُذكر أول حرفين من الجملة.. وأتنبأ بنهاية النكتة قبل أن تنتهي.. وأعرف مصير كل علاقة ما إن تبدأ.. لهذا وجدت في الرياضيات الحل الأمثل للسعادة.. ووجدت في المعادلات سلام روحي السرمدي كما قالها (برتراند راسل) من قبل..

العنوان: (........) - القاهرة.

والآن أنت تعرف على ما تعرفه أمي وزوجتي.. وما يعرفه خير صديق لي (إن كان هناك حقًّا شيء كهذا)..

يمكنني إذن أن أتحدث في شأن قصتي..

* * *

آخر الليل.. آخر الليل..!

والنعاس شراك عنكبوت تتخبط فيها كذبابة غير راغبة في الإفلات.. ودفء الفراش الجميل.. ربما صحوت شاعرًا بتلك الحاجة الحارقة تمزق مثانتك فتهرع - ثملًا مترنحًا - إلى الحمام.. ثم تعود إلى الفراش لتتندس تحت الأغطية شاعرًا بأن الحلم لم ينته بعد، ويمكن استكماله دون جهد..

نظرة عابرة إلى أرقام المنبه الفوسفورية وسط السواد المتجانس المريح؛ تخبرك أنها الرابعة صباحًا.. وصوت الـ (تك تك)

الرتيب المطمئن يخبرك أن دورة الزمن مستمرة بثقة.. وأن حركة الأفلاك منتظمة.. وأن الغد قد جاء.. فلا تقلق.. لا تقلق!

وفي الحلم تقال أشياء وتحدث أشياء..

هأنذا.. إنني أقف في العراء وسط الرياح.. والقصر المهجور أمامي.. هذا المشهد يتكرر كثيرًا.. أم لعلها المرّة الأولى؟ في الأحلام يغدو مستحيلًا أن تجزم بالحقيقة..

شيء ما في مشهد القصر يقول لي: ألا أدخل.. يقول لي: أن أفر كأنما الجحيم ورائي..

لكنك تعرف ما يحدث في الكوابيس.. لابد أن يحدث المحظور.. ولا قدرة لك بتاتًا

على التحكم في سلوك أبطال الكابوس..

افتح عيني لحظة لأرى ظلام الحجرة، والحدود الخارجية لزوجتى النائمة تغط على بعد سنتيمترات.. أعرف أنّ هذا حلم.. لكنّ الصباح ما زال بعيدًا وأنا لن أصحو قبل الثامنة.. فلأستمتع إذن بهذه المغامرة مادمت سأصحو لأجد أنني في الفراش الدافئ تحت الأغطية كما أنا..

وأغمض عيني من جديد...

أرقى درجات القصر وأزيح الباب الخشبي العملاق.. من المنطقي أن يحدث صريرًا لكنه لا يفعل..

في الداخل يكسو الغبار والعنكبوت كل شيء.. لكنني أتقدم في إصرار، وقد بدا عليّ كأنني أعرف ما أريد بالضبط..

هناك حجرة.. حجرة في نهاية الرواق الذي أمشي فيه.. كل شيء يقول لي ألا داعي لفتح بابها.. لكن شخصي في الحلم يتقدم.. يتقدم.. ثمّة مفتاح في الباب.. مفتاح غريب الشكل عملاق يمتلئ بتلك الزخارف التي تمثل الماضي.. الماضي الذي كان الناس يملكون فيه الوقت والبال الرائق لعمل هذه المنمنمات..

أولج المفتاح في القفل، وأشعر بعناده وثقله.. لكنه يستجيب في النهاية.. وينفتح الباب بصرير طويل هذه المرّة...

كان ينتظرني بالداخل..

من قرون طوال كان ها هنا.. ولم يضايقه أحد.. لكني كنت الأول.. وبالتأكيد سأكون

أول آدمي يراه منذ قرون.. لكنه سيكون آخر مخلوق أراه في حياتي..
كيف كان يبدو؟ لا أذكر بالتأكيد.. فقد كان المناخ ضبابيًا غريبًا.. والأحلام تكتفي بالانطباع العام غالبًا دون ذكر تفاصيل.
فقط كان غاضبًا وكنت أنا في حالة يرثى لها من الهلع..
ركضت نحو الباب.. آه! هذا هو ما يتكرر في الكوابيس دومًا.. إن قدمي تزنان أطنانًا، وحركاتي بطيئة غبية تثير استفزاز من يرى المشهد.. حتى الصراخ عسير يخرج واهنًا من حلقي لا يكاد يسمع..
بصعوبة عبرت الباب، وأدرت المفتاح في القفل ودسسته في جيبي، ثم رحت

أركض - بالسرعة البطيئة ـ محاولًا الفرار من هذا المكان المشئوم..

باب القصر.. لم تبق سوى بضعة أمتار و.. الشمعدان الفضي.. الستار الممزق.. لوحة جدارية مغبرة تظهر فارسًا يغرس رمحه في صدر أسد.. العناكب و.. قلبي يكاد أن يتوقف.. الـ..

لكن الشيء كان ينتظرني.. ويقطع على الطريق..

كيف خرج من محبسه؟ لا أفهم.. ربما كان هناك باب خلفي أو.. هل يوجد منطق للكوابيس؟ إنّه هنا وكفى..

من المستحيل أن أفر منه بهذه الانعكاسات البطيئة..

إذن أصرخ.. وفي هذه المرّة نجحت الصرخة في مغادرة حلقي..

الغوووو........

❋ ❋ ❋

... ووووووث!!

ثم هذا المشهد التقليدي: أنا أصحو من النوم صارخًا.. وزوجتي تنهض مذعورة تتساءل عما هنالك..

وبعد ثوان أدرك أنني في الفراش، وألا وحوش هنالك تنوي التهامي.. وأسمعها تبسمل.. وتهرع - في الظلام - إلى المطبخ.. ثم تعود لي حاملة كوبًا من الماء..

ألهث وأمسح العرق عن جبيني.. وأفتح زرًا من أزرار منامتي كي أتيح للسعة البرد أن توقظني.. وأغمغم بالعبارة الشهيرة:



لكن الشيء كان ينتظرني . . ويقطع عليّ الطريق . .
كيف خرج من محبسه ؟

- «كان كابوسًا مريعًا.. كأن أحدًا كان يجثم على صدري..»
- «اللّهم اجعله خيرًا..»
- «رأيت أن...»
رفعت يدها في حزم - كأية زوجة مصرية بنت مصرية - تمنعني من الاسترسال، قائلة في لهجة لا تناقش:
- «صه! لا تحكه وإلا تحقق..»
فابتلعت ريقي وتدثرت تحت الغطاء، وجسدي كله ما زال يرتجف من فعل الكابوس.. رائحة الغبار في القصر ما زالت في أنفي، وملمس المفتاح البارد ونسيج العنكبوت على ذراعي..
- «تصبح على خير..»
- «هم م م م!»

قلتها وعدت أذوب في عالم الظلام، حيث الفارق بين الموتى والأحياء هو ذبذبة في رسم المخ الكهربائي.. إن النوم هو بروفة ممتعة للموت. موت يمكن العودة منه دون جهد.. وهذا هو ما يعطيه جاذبية كجاذبية مشاهدة أفلام الرعب، أو ركوب القطار الأفعواني في مدينة الملاهي..

لكني لم أر القصر ثانية في هذه الليلة..

* * *

في الثامنة صباحًا نهضت من النوم، وقمت بالأعمال التقليدية التي تصاحب الاستيقاظ.. ثم شرعت أحلق ذقني أمام المرآة.. إن المدرس يجب أن يكون حليق

الوجه مهما كانت حالته النفسية.. قليل هم المحظوظون الذين يسمح لهم بترك ذقونهم غير حليقة حين يشعرون بإرهاق أو اكتئاب.

كنت أتفقد سمات وجهي.. وأستعيد الشعور بأنني لم أر قط كابوسًا أشد وضوحًا من هذا، حتى ليوشك أن يكون رؤيا..

في غرفتي انتزعت الجزء العلوي من منامتي، توطئة لارتداء ثياب الشارع.. حين سمعت صوتًا معدنيًا غريبًا..

لقد سقط شيٍء من جيب السترة..

انحنيت باحثًا عنه فوجدته..

كان مفتاحًا معدنيًا مليئًا بالزخارف.. يعود إلى الماضي الذي كان الناس يملكون فيه

الوقت والبال اللذين يسمحان بعمل هذه المنمنمات!

❋ ❋ ❋

٣ - أسطورة آخر الليل..

عزيزي (رفعت):

لك أن تتصور ما دهاني من حيرة، وما أصاب توازني من خلل بعد هذا الاكتشاف المدهش..

في البدء استجوبت زوجتي واستجوبت ذاكرتي بشأن هذا المفتاح، فكان الجواب اليقين هو أن أحدنا لم يره قط.. أنا رأيته في مكان ما.. وأنت تعرف مثلي أين كان هذا المكان..

لكنني لجأت إلى المنطق العلمي الصارم لأبرر الموقف: أنا نمت بهذا المفتاح الذي

وجدته في مكان ما... وفي أثناء النوم تحسست أناملي جيبي.. فشعرت به.. وتكفل عقلي الباطن بإدماج هذا المؤثر الحسي في الحلم.. كلنا مررنا بأحاسيس مماثلة من قبل.. ورنين جرس المنبه غالبًا ما يقتحم الحلم ليغدو رنين جرس باب أو شيئًا من هذا القبيل.. والمحير في هذا أن الحلم قد يبدأ بالرنين.. ثم يكون طويلًا جدًّا.. ونصحو لندرك أن المنبه يرن.. فتصيبنا الحيرة.. إذن فهذا الحلم الذي حسبناه طويلًا كالدهر لم يستغرق سوى عشر ثوان أو أقل[1]..

المشكلة هنا هي أنني لا أعرف متى ولا كيف وضعت هذا المفتاح العجيب في جيبي..

لكن هذا التفسير مُحتّم حتى لا أجن..

* * *

في المدرسة أيقن الجميع أنني لا أبدو على ما يرام.

إن المدرس لشبيه بممثل المسرح الذي يتوقع منه الجميع انفصالًا تامًا عن مشاعره الداخلية.. يجب أن يكون دومًا منتعشًا نشطًا مفعمًا بالبشر حتى لو كان نومه متقطعًا مفعمًا بالكوابيس...

الحق أقول إن أدائي كان مخيبًا للأمل..

وفي غرفة المدرسين وجدت مجلة طبية نسيها أحدهم، وإن كان قد وضع خطوطًا حمراء تحت سطور مقالة تتحدّث عن

مشاكل الغازات وصعوبات التبرز.. وهذا يدلك على أنه رجل يفتقر إلى الشاعرية في قراءاته..

لكنّ ما أثار انتباهي هو مقالة في ذات المجلة تتحدّث عن علم صيني المنشأ هو علم (الأونيرومانسي)[2]..

وهذا العلم ـ باختصار مخل - هو علم معرفة الأمراض الحادثة في الجسم عن طريق الأحلام التي يراها صاحب هذا الجسم..

وطبقا لعلم (الأونيرومانسي) يمكن تحديد القوائم التالية:

- الأشباح والعفاريت والنار والدخان: تشير لمرض القلب..

- الحروب والجنود والبحار الهائجة: تشير لمرض الرئتين.
- الغرق واللعب في الماء: تشير لأمراض الكلى.
- الحفلات والولائم: تشير لمرض الطحال
- الغابات والجبال والمزارع: تشير لمرض الكبد.
- أحلام دموية: نزف المخ.
- شلالات: تشير للأنيميا (فقر الدم).

أثار هذا شغفي.. يمكن بسهولة إثبات أنّ هذا العلم محض هراء.. لأنني أحلم بالولائم طيلة حياتي وما زال طحالي بخير حال.. لكنّ شوق المرء العارم إلى

المجهول يجعله يقبل أن يقرأ سطورًا كهذه، ويحاول تبين بعض الصواب فيها...

طبقًا لهذا أنا أعاني مرضًا عضالًا في القلب.. ألم أر شبحًا مريعًا في حلمي؟

فإذا تركنا الصينيين بعلومهم شديدة التعقيد وجدنا الأخ (فرويد) بتفسيراته القائمة على الغرائز المكبوتة، والإمام (ابن سيرين) الذي يستلهم الدين في تفسيراته..

كلهم حاولوا.. لكنّ أحدًا لم يقدم تفسيرًا لوجود هذا المفتاح في جيبي بعد انتهاء الكابوس...

❋ ❋ ❋

وحين عدت لداري تناولت الغداء الدسم المكون من الأرز والخضر واللحم المحلى بالدهن..، ثم أعلنت لزوجتى أنني داخل الفراش لأغفو قليلًا..

- «لكنّ هذا غير صحي.. إن الإنجليز يقولون..»

قلت لها في ملل:

- «أعرف.. أعرف.. بعد العشاء نم قليلًا.. وبعد الغداء امش ميلًا.. لكنّ المرحومة أمي كانت تقول: اتغدى واتمدى.. وهي بالتأكيد تعرف ما يناسب ابنها خيرًا من الإنجليز..»

لكني كنت أزمع أمرًا آخر..

فنوم العصر بعد غداء دسم هو الطريقة المثلى للإصابة بالكوابيس.. وأنا كنت

بحاجة إلى أن أعرف أكثر.. أن أخوض الكابوس من جديد أو أستكمله..
لكن النتيجة سلبية: هأنذا أفيق من النوم وقد بدأ الغسق يغزو الحجرة، ورائحة عطرية لا أدري كنهها تفعم الهواء.. ربما هي رائحة مبيد حشري رشته زوجتي لخنقي..
لكني لم أحلم بقصر الأمس.. ولم ألق ذلك المخلوق..
وفي الخامسة عصرًا يبدأ توافد الطلبة الذين جاءوا للدرس الخصوصي.. نعم.. فأنا مدرس... تقول لي: إن هذه ظاهرة غير صحية وما إلى ذلك.. فأقول لك إنني بشر بحاجة إلى أن أنفق لأعيش.. وراتبي ينتهي بعد ثلاثة أيام من صرفه لي.. ثم إن

هذا لم يجعلني أقصر لحظة في أداء واجبي في المدرسة.. هؤلاء الطلبة راغبون في الاستزادة وأنا قادر على الزيادة.. فما هي المشكلة إذن؟

حول المائدة الطويلة في غرفة الطعام يجلسون ويتهامسون...

ثم أدخل أنا مرتديًا الروب وتحت إبطي الكتب فيصمتون.. وأبدأ في الكلام...

تحليل القوة إلى مركبتين.. عجلة الجاذبية.. المسقط العمودي.. المنحنى التفاضلي.. لوغاريتم العدد (ع س) يرفع لأس ١٢..

مع ضربات حاسمة سريعة على اللوح بقطعة من الطبشور.. هذا اللوح قمت

بصنعه بنفسي وجعلت له حاملًا يسمح بنقله..
أونيرومانسي.. والمراهقون يحلمون كثيرًا.. بالنسبة لهم ما زال للهواء رائحة.. وللعطور معنى.. ولليل قصة..
الجذر التكعيبي للعدد (هـ).. إثبات نظرية (فيثاغورس).. لغة الأرقام لا تكذب ولا تقبل حلولًا وسيطة.. إنها الإحكام ذاته.. ليتهم يفهمون بوجوههم الحالمة، وشواربهم نصف النامية، وأصواتهم نصف الخشنة..
ويمر الوقت..
وجوه تتبدل.. وجوه ناعمة طويلة الشعر ترتدي الفساتين..
ووجوه خشنة نصف حليقة..

وتستمر المسرحية.. تستمر حتى العاشرة مساء.. فأنا كما ترى يا د. (رفعت) إنسان مشغول وناجح في عمله..

فلا أملك الوقت مثلك كي أتساءل عن أسرار الطبيعة وما وراءها..

وحين ينصرف آخر تلميذ من غرفة الدرس هذه؛ أكون قد تحولت إلى نفاية عقل.. وتحشرج الصوت في حلقي..

أخرج إلى امرأتي لأجدها عاكفة على إعداد العشاء في المطبخ..

تقول لي وهي تهرس الفول بشوكة صغيرة:

- «نحن بحاجة إلى تغيير.. هذه الحياة المملة ذات الوتيرة الواحدة تقتلنا ببطء..»

فأقول وأنا أخرج زجاجة الماء من الثلاجة لأجرع منها:

- «لا حيلة لنا.. هذا هو مصدر رزقنا الأساسي والوحيد.. وليس من حق العناكب أن تسأم البقاء في بيوتها بانتظار الذباب..»

- «أبقى وحيدة طيلة النهار والليل..»

- «الوحدة خير من الفاقة.. وعلى كل حال أنا لا أتركك وحيدة كي أذهب إلى دور اللّهو.. إنني لا أحب ما أقوم به كثيرًا..»

تقول وهي تسكب الزيت على الفول:

- «أنا بحاجة إلى عمل.. إلى وظيفة..»

- «أنت بحاجة إلى طفل..»

فتهدأ قليلًا.. وتدفن وجهها فيما تقوم به...

وهى حيلة لا بأس بها أمارسها معها كثيرًا.. التظاهر بأنها قد جرحت كبريائي.. فأنا لا أنجب.. وهي تعلم ذلك.. ولأنها رقيقة فإنها تتجنب أي تلميح إلى هذا الموضوع.. لهذا أجدها وسيلة فعالة في أية مشاجرة أن أعلن لها أن مشكلتها هي الحاجة إلى الأمومة.. من ثم تغير الموضوع فورًا وتكفّ عن لجاجتها..

لقد عرضت عليها الانفصال مرارًا لكنّها بكرم نفسي غير مفتعل تأبى ذلك.. وأنا أمقت أن يضحي أحد بعود ثقاب من أجلي.. لهذا لم تسعدني تضحيتها هذه.. بل وجعلتني غير كثير الميل إليها..

إننا لا نحب لقاء دائنينا أربعًا وعشرين ساعة كل يوم.. وزوجتي دائنة.. دائنة من

طراز خاص لا يمكن تحمله..

❋ ❋ ❋

تك.. تك تك.. تك.. تك تك!
هوذا حارس الزمن يمرّ على ممتلكاته.. يتأكد من أن الأفلاك تدور بانتظام وأن الغد قد بدأ.. وأن الوطاويط والبوم قد عادت إلى ديارها على حين تستعد العصافير والقطط للاستيقاظ..
إنه آخر الليل..
أشعر بهذا وأحسه.. وأعرف أنني نائم أحلم..
هذه هي الأحلام المتجلية Lucid dreams كما يسمونها.. وهي الأحلام

التي يعرف النائم في أثنائها أنه يحلم.. وهي أرقى أنواع الأحلام وأكثرها قابلية للتفسير..

الغووووث!

كنت أواصل الصراخ.. وأمامي ذلك الشيء الذي لا أتبين ملامحه لكني أخشاه كثيرًا.. وأدركت أنه ذات الموضع الذي انتهى عنده الحلم السابق.. أم تراني أحلم للمرة الأولى وأتخيل أنّ هذا تكملة لحلم قديم؟ لست واثقًا..

لكني أركض..

أركض إلى أين؟

لا يهم.. هناك رواق طويل إلى اليمين تكتسي جدرانه بالطحالب وله رائحة عفنة

مقيتة.. على الحائط مشاعل بها لهب.. أحدهم أشعلها ولا أدري من هو حقًّا..
أركض في الممر غير متبين نهايته الغارقة في الظلام.. وأنظر للوراء فأرى هذا الشيء عند طرف الممر قادمًا نحوي بتؤدة.. وباستمرار!
من الخطأ الفادح أن ينظر المرء للوراء حين يكون مطاردًا.. فهكذا يتعثر.. هكذا يتخبط.. هكذا ينتابه الهلع..
لكن نهاية الممر غارقة في الظلام أمامي..
ماذا لو كان مسدودًا؟
لا أدري ما سيحدث وقتها.. رحت أئن.. وفيما بعد قالت زوجتي إنها سمعت صوت أنيني وأنا نائم...

ماذا لو كان مسدودًا؟

أنا الآن في الظلام الدامس.. لكنى أسمع صوت الشيء قادمًا.. إنّه لا يزأر كأي وحش محترم.. بل هو يصدر هديرًا منتظمًا كهدير الثلاجة.. حتمًا هذا هو صوت الثلاجة في مسمعي، وقد وجد له عقلى الباطن مكانًا في الكابوس.. تمامًا كما يفعل مع صوت المنبه والهاتف..

كان هناك مشعل على الجدار الحجري جواري.. مشعل يلفظ أنفاسه الأخيرة لسبب مجهول.. فوثبت لأنزعه من مكانه.. ورفعته عاليًا فتأجج اللهب واضطرم..

وعلى الضوء الخافت الذهبي المحيط به أدركت أنني كنت على حقٍّ...

إن الممر مسدود حقًّا!

* * *

٤ - الطبيب وعرين الموتى..

وقفت وظهري للحائط ورفعت المشعل عاليًا..

كان بوسعي أن أرى الشيء وهو يدنو مني.. بتؤدة وثقة.. لم لا وأنا الآن فأر في مصيدة؟

لم يكن أمامي سوى القتال بالشعلة.. صوبتها إلى ما أعتقد أنه وجهه، وأطلقت صرخة عالية.. ولكن.. ألم تكن تلك صرخة حمل يلمس نصل السكين عنقه؟

لاااااا...

* * *



وعلى الضوء الخافت الذهبى المحيط به أدركت أننى كنت
على حق .. إن الممر مسدود حقًا !

.. آاااااه!

وثبت من فوق وسادتي أكافح من أجل الهواء.. وكالعادة كانت زوجتى جاهزة بالأدعية وعبارات التهدئة.. كفها البارد على جبيني يعيدني إلى الواقع ويمنحني شعورًا بالسكينة..

- «كابوس آخر! يجب ألا تتناول في العشاء سوى الزبادي»

لكنني كنت عاجزًا عن الكلام...

لو تكلمت لقلت لها إنها حمقاء ككل البشر ذوي القياس الخاطئ.. لو كان للطعام دور في هذه الكوابيس لزارتني بعد الغداء الذي تعمدت أن يكون دسمًا.. إذن ـ بهذه التجربة

البسيطة - يمكن القول: إن الكابوس لا علاقة له بما آكل ولا بوضع نومي..

هذا الكابوس له علاقة بآخر الليل..

كادت تنهض لتحضر لي كوب الماء الأبدي، لكني أبقيتها في الفراش بإشارة من يدي ونهضت لأحضره لنفسي...

تألق مصباح المطبخ (النيون) المتقطع يحدث في ذهني ما يحدثه الضوء المماثل لمرضى الصرع.. وأسترجع تفاصيل الكابوس الذي ما زال ساخنًا متوهجًا..

عدت إلى الفراش وأنا أسمع أصداء قرآن الفجر تتردد من مسجد بعيد.. ورجل يمشي في الشارع يتحدث بصوت عالٍ إلى آخر.. كأنما ليس في الكون سواهما..

هنا وجدت زوجتي قد أضاءت الأباجورة.. وكانت جالسة فوق الفراش على ركبتيها تتفحص شيئًا ما..
سألتها وأنا لم أسترد وعيي بعد، كأن نسيج عنكبوت يغلف ذهني:
- «ماذا هنالك؟ لا أظن أنني فعلتها!»
قالت وهي ترفع الشيء الذي كانت تتفحصه:
- «ما هذا؟ لقد أتلف الملاءة تمامًا...»
ونظرت إلى يدها.. كان هذا - لمن يجهل الأمر - أقرب إلى مقبض خشبي اسودّ طرفه.. لكنه بالنسبة إليّ كان مألوفًا تمامًا..
كان هذا مشعلًا منطفئًا، وقد لوث الملاءة بالسناج إلى حد مروع!

* * *

- «(ع).. أنا خائف..»

كنت نائمًا على ظهري في الفراش أرمق ستار الظلام المعلق في الهواء.. وأرتجف.. ومن عيني سالت عبرتان لم أستطع منعهما..

قالت في رفق وهي ترمق الظلام جواري:

- «هذا غريب.. لكنه لا يعني شيئًا..»

- «إن ما أجهله يثير رعبي حتى لو كان غير خطر..»

وحكيت لها في الظلام بصوت أثار شجني شخصيًا؛ كيف أنني في صباي وجدت حشرة مسالمة لا خطر منها، لكني

كنت أجهلها وبدت لي غريبة جدًا.. حتى إنني ملأت الكون صراخًا وعويلًا..

قالت لي بذات الحنان:

- «أنت رجل علمي واسع الذكاء.. وستجد لهذا كله تفسيرًا..»

كان حنانها قد بدأ يؤثر فيّ حقًّا.. إننا دومًا أطفالهن.. خرجنا من أرحامهن.. وهن وحدهن يعرفن كيف يزلن خوفنا من الظلام.. إننا أقوى منهن وأشجع منهن لكنهن يعرفن كيف يحميننا..

قلت لها وأنا أتنهد وأغلق عيني:

- «غدًا سأذهب لأرى طبيبًا نفسيًا..»

❋ ❋ ❋

عيادته في شارع (شريف)..
لابد أنك تعرفه.. دكتور (م.ن) الأستاذ في ذات الكلية التي تعمل أنت فيها يا د. (رفعت).. لكنّ لا تحاول سؤاله عني لأنّه رجل يحترم مهنته ولا يفشي أسرار مرضاه أبدًا..
جلست وزوجتي في العيادة الخاوية متوترين.. ورحت أشعل لفافة تبغ تلو الأخرى.. أنا أثق بالطبيب النفسي الذي خلت عيادته من المرضى.. فهو رجل سيعطيني ما أريد من وقت.. رجل يملك الوقت الكافي للقراءة والتأمل واكتساب الحكمة..
نظرت في ساعتي.. ما زال الوقت كافيًا للكشف، فالعودة إلى الدار ونيل قسط من

الراحة قبل ميعاد الدرس الخصوصي..
وابتسمت حين لمحت الذعر على وجه زوجتي.. إنها تحسب عيادة الطبيب النفسي ملأى بجراثيم الجنون.. وتتوقع - في أية لحظة ـ أن يقتحم المكان مخبول يلوح بسكين وهو لا يرتدي سروالًا..
دعانا الممرض العجوز المتثاقل إلى الدخول.. فنهضنا لنلقى الكاهن الأعظم في محرابه..
كان شيخًا فانيًا ـ كما تعرف عنه ـ لكنّ له عيني صقر.. وهو يكتفي بتأملك من فوق الإطار العلوي لنظارته، ولا تقول شيئًا تقريبًا... سوى عبارات من طراز (خيرًا؟ ثم ماذا؟ وبعد؟)
ويخط عبارات في دفتر صغير أمامه..

حكيت له قصتي بعبارات مختصرة ملول.. بينما عينا امرأتي المرعوبتان ترمقان كل لفظة تخرج من فمي.. يبدو أن كلماتي تخرج في بالونات كما يحدث في قصص الأطفال الهزلية..

أخيرًا جاء دوره ليسألني:

- «هل من عادتك أن تمشي في أثناء النوم؟»

مشي في أثناء النوم؟ لم يخطر لي هذا قط.. الحق أنّ هذا حدث مرارًا.. لكني بهذا أقدم له الحل النهائي للمشكلة.. ومن العسير أن يتخلى هو عن هذا التفسير الذي ألقي له كطوق نجاة.. قلت في كياسة:

- «الواقع أن...»

- «نعم أم لا؟»

- «نعم.. لكنّها ليست عادة.. أعني.. مرة أو مرّتين ذهبت إلى المطبخ.. وجدتني زوجتي هنالك أفعل أشياء ما.. لكني لا أذكر عنها حرفًا في الصباح..»

في انتصار أضافت زوجتي:

- «ومرة فتح جهاز التلفزيون وراح بعينين لا تريان يراقب الشاشة الخاوية بعد انتهاء الإرسال..»

بدأ الاهتمام في عيني الصقر.. وتساءل:

- «ومنذ متى بدأ هذا؟»

- «منذ أن عرف أن...»

وصمتت بعد ما أدركت أنها تكلمت كثيرًا.. فسألها كمحقق بارع لا يترك خيطًا أمسكه:

- «عرف ماذا؟»

أطرقت بوجهها غير راغبة في مواصلة الكلام، فبادرت أنا بالإجابة عن سؤاله قائلًا في تحد وقح:

- «منذ أن عرفت أنني لا أنجب..»

- «آه ه ه ه!»

والتمعت نظرة فرويدية نهمة في عينيه.. فقلت أنا محاولًا أن أمنعه من الاسترسال في الاستقراء:

- «أعرف ما ستقول.. ستقول إن عقلي الباطن يحاول الخروج من الكبت الذي يسببه إحساسي بالنقص.. لهذا أمشي في أثناء النوم وأضع أشياء في الفراش.. إن المفتاح والمشعل لرمزان فرويديان قويان.. لكنّ دعني أؤكد لك أن الأمر ليس كما

تحسبه.. أنا لم أمش في أثناء نومي.. وزوجتي تدرك ذلك..»

قال وعينا الصقر لا تبارحان وجهي:

- «أنت مثقف يا سيدي.. ومشكلة المثقفين هي أنهم لا يمنحون ثقتهم للطبيب النفسي.. إنهم يحسبون أنهم يعلمون قواعد اللعبة جيدًا.. وهذا سيؤثر دون شك على فعالية العلاج.. إن القاعدة الأولى في أي علاج هو أن يهاب المريض طبيبه بعض الشيء.. وهذا لن يكون الحال معك.. خاصة وأنت تبدي نوعًا ما من العدائية نحوي.. برغم أنك صاحب فكرة المجيء هنا على ما أظن ولم تكن (المدام) هي صاحبتها؟»

قلت في كياسة:

- «هذا حق.. لكني كنت دائمًا أعادي طبيب العيون وطبيب الأسنان.. وأعاملهما كخصمين يحاولان هدمي...»

وضع راحتيه على المكتب، وتنهد في ارتياح، ومال إلى الأمام قائلًا:

- «حسن.. الآن نحن نفهم بعضنا خير فهم.. فلنتكلم بصراحة إذن: ما هو دليلك على أنك لا تمشي في أثناء النوم؟»

- «وما هو دليلك على أنني أمشي؟»

- «لأن هذا هو ناموس الكون.. الأشياء لا تغادر الأحلام لتظهر في فراشنا.. كما أنّ الأفيال لا تطير والدم لا يتحول إلى ماء..»

نظرت له في حيرة.. وعجزت عن إضافة كلمة أخرى..

* * *

قمنا بتجربة عملية كما نصحنا د. (م.ن)...

في هذا المساء قامت زوجتي بتغيير ملاءة الفراش وغطائها.. وتأكدت من عدم وجود أية أجسام غريبة هنالك.. قامت كذلك بتفتيش جيوب منامتي للتأكّد من أنني لا أضع شيئًا فيها...

وخضعت أنا في إذعان لهذا التفتيش المهين، فقد كنت أريد أن أعرف حقيقة ما يحدث لذاتي..

أما الإجراء الأكثر أهميّة فهو أنها جلبت مقعدين ثقلين وضعتهما إلى جانب الفراش؛

ليعوقا حركتي قدر الإمكان لو أنني نهضت ليلًا..

أعرف أنني لن أنام.. الترقب سيبقيني يقظًا.. لهذا ابتلعت قرصين من (الفاليوم) لأنام برغم أنفي..

يمكنني أن أجبرها على البقاء متيقظة لتراقبني.. لكنك تعرف آخر الليل.. حين يتسلل النعاس إلى أقوى الجفون لينهكها ويجعلها تزن أطنانًا..

وهكذا حين أطفأت ضوء الأباجورة؛ كنت قد بدأت أحلم وعيناي مفتوحتان.. إرهاق اليوم مع فعل المهدئ..

كل هذا له أ.. ك.. بـ.. ر.. أ.. ل..

❋ ❋ ❋

لااااااه..!

ودفنت المشعل في وجه الشيء.. لكنه لم يصرخ.. المريع أنه لم يصرخ.. فقط سمعت صوت الاحتراق الشبيه بـ.. بماذا؟

لا وقت للبحث عن تشبيه بليغ.. فلأهرب..

ولكن لأين؟

ثمة كوة صغيرة مستديرة جواري.. كيف لم أرها من قبل؟ إلام تقودني يا ترى؟ لا يهم.. إنها ستبعدني عن هذا الشيء وكفى..

وفي ثوان كنت قد حشرت نفسي فيها وعبرتها..

لم تكن هناك هاوية كما توقعت.. بل كان هناك منحدر وعر يوشك أن يصير قائم

الزاوية مع الأرض..

وهكذا - تعرف هذا الشعور. راحت قدماي تركضان على غير إرادة مني، وبسرعة لا تصدق نحو قاع المنحدر.. لكني ظللت أقف عليهما..

ولمحت عيني مشاعل غريبة الشكل على جدران المكان.. مشاعل هي جماجم آدمية وضعت شموع في محاجرها...

ما هذا المكان؟

كنت قد استقررت على قدمي، واستطعت أخيرًا أن أعرف أين أنا.. كنت في قاع المنحدر.. في قاعة تشبه المحراب.. وكانت هناك عظام آدمية متناثرة هنا وهناك..

وبدأت أفهم أين أنا من بعض السمات الواضحة..
إن هذا هو وكر (نكرومانسر).. (نكرومانسي) محترف[3].. أنا أعرف هذه الأمور من قراءاتي.. ولكن في أي عصر عاش هذا الشيطان؟ هل الوحش هنا وهناك.. والذي هاجمني في الطابق العلوي هو (البودى جارد) الخاص به؟
ولم تطل أسئلتي للأسف.. وليتها طالت..
كان (النكرومانسر) واقفًا ـ كسحرة القصص القديمة ـ أمام مرجل يتصاعد منه البخار، وقد ارتدى عباءة تنسدل على وجهه فلم أتبين ملامحه جيدًا، وقد سرني هذا..
سمعت صوته البارد الرهيب يقول لي:

- «هلمّ ادن مني..»
وكأنني تحت تأثير التنويم المغنطيسي دنوت منه في حذر..
قال وهو يقلب ما في المرجل بعصا خشبية:
- «أنت قد دنوت من النار أكثر من اللازم.. ولسوف ينالك من أذاها ما لا ترغب..»
خطر لي هنا ما قاله علماء النفس عن أن الأحلام الملونة تدلّ على اضطراب نفسي.. أنا أعيش حلمًا ملونًا رائع التلوين.. وبالتالى هذا دليل أكيد على اضطراب النفسي..
قال (النكرومانسر) وهو يشير إلى ما وراء ظهري:

- «لهذا سلطت عليك (الجاثوم.).. (الجاثوم) القادم من كوابيس الموتى ليجعل ليلك جحيمًا ونهارك رعبًا..»

وهنا نظرت إلى الوراء لأرى ذلك الشيء الذي طاردني في الكوابيس كلها.. وهو يتقدم منى ببطء شديد واثق..

قال الرجل وهو يواصل تقليب ما في المرجل:

ـ «إن موعدك معه هو آخر الليل.. آخر الليل حين تحين ساعة الذئب.. عندها ستتمنى لو لم تكن حيًّا..»

تراجعت إلى الوراء وأنا

(ما الذي يغلي في هذا المرجل؟!)

أتحسب لموضع قدمي.. الكائن أمامي الآن وصاحبه خلفي.. وأنا لا أطيق مجرد لمس أحدهما.. إن ما سأقوم به الآن هو عمل أخرق لكنه

(رباه!.. ألن أصحو من هذا الكابوس؟)

ضروري حتمًا..



وكأننى تحت تأثير التنويم المغنطيسى دنوت منه فى حذر ..

وبركلة واحدة ضربت المرجل فانقلب على الرجل الواقف خلفه..
هذه المرّة لم تكن تلك صرختي..

* * *

٥ - أعصابي..!

لقد صرخ الرجل ودارى عينيه بكفيه..
وكنت من اللحظة الأولى أرتجف هلعًا من نتيجة ما فعلت.. ولسوف يكون انتقامه رهيبًا لو ظل حيًّا..
انحنيت إلى الأرض فالتقطت عظمة آدمية كانت هناك.. وبأعنف وأعتى ما بوسعي هويت على رأسه.. هل كان هذا هو صوت تهشّم العظام أم تهشّم جمجمته؟
لكنني - قبل أن أتبين الأمر - شعرت بيدى المسخ الذي عرفت أنه يدعى الجاثوم.. شعرت بها تلتف حول عنقي..

في هذه المرّة لن يكون الفرار ممكنًا..
النجدااااا..

*   *   *

آاااه!
وكان المشهد مختصرًا في هذه المرّة..
زوجتى أضاءت الأباجورة.. ولم تبادر بتهدئتي أو تقل شيئًا.. فقط جلست في الفراش ترمقني بعينين متسائلتين تقولان:
هل حدث هذه الليلة أيضًا؟
لم أرد، ورحت أعب الهواء بجرعات كبيرة.. ثم مددت يدي تحت الملاءة وأخرجت عظمة أدمية.. عظمة ساعد بدا عليها القدم.. وقد شرخت في منتصفها!

كان هذا هو الجواب الذي أرادته..

* * *

استيقظت في الصباح مشوشًا مختلط التفكير..

وقد تكفل المهدئ الذي تناولته بزيادة الأمر سوءًا..

تأملت وجهي في المرآة فوجدت عينين حمراوين أسفل كل منهما انتفاخ شبيه بقربة السقاء.. انتفاخ كالذي تداري فيه أنثى الكانجارو أطفالها..

- «ثدييات كيسية!»

قلتها بصوت مسموع.. ورحت أضحك وقد راقت لي المزحة.. ها ها! وظلت

زوجتي ترمق ضحكي بعينين خرساوين..
قلت لها وأنا أرتدي ثيابي:
- «احتفظي بالعظمة مع المفتاح والمشعل.. بعد شهر واحد سيكون عندك معرض كامل.. ومن يدري؟ ربما جلبت لك السيارة التي تحلمين بها من كابوس مماثل!»
وأرحت رأسي على خزانة الثياب الثانية واحدة.. ثم فتحت عيني فوجدت زوجتي تناديني في إلحاح، وقد عادت من الحمام تجفف وجهها بمنشفة:
- «هل نمت وأنت واقف؟ إن ربع ساعة قد مضى عليك في هذا الوضع!»
- «حقًّا؟ لم أغب سوى ثانية..»

لكنّ الساعة قالت لي إنها صادقة.. وهكذا وجدت الحل الوحيد المتاح لي ألا وهو أن أنزع ثيابي وأعود للفراش.. وأستسلم لقبضة (الفاليوم)..

- «لكنّ.. المدرسة؟»

- «إجازة عارضـ..... هم م م م م!»

وكان نوما هادئًا بلا (جاثوم) صحوت منه على صوت أذان الظهر من المسجد المجاور للبيت..

* * *

تكررت مواجهات في آخر الليل مع الجاثوم..

دائمًا أنا في ذلك القصر المرعب أفر بين حجراته، بينما ذلك الشيء المقيت يطاردني، ولا يضل طريقه أبدًا معلنًا عن وعي (طبوغرافي) مدهش.. وكان دومًا هناك في أسوأ لحظة ممكنة ليسد عليّ الطريق، بينما أنا أتحرك هذه الحركة البطيئة المتثاقلة المميزة للكوابيس.. وينتهي الكابوس بصرخة مريعة..

ولم يكن العثور على شيء من الحلم في فراشي أمرًا محتومًا.. ففي مرات عديدة صحوت من النوم لأجد ألا شيء هنالك.. وهذا يوحي بواقعية ما يحدث.. فالحياة بطبعها غير منتظمة ولا تحترم عاداتها.. ولو كان عثوري على شيء من مخلفات

الحلم أمرًا معتادًا؛ لبدا لي هذا غريبًا مريبًا..
لن أقول هنا إنني تبدلت في الأيام الأخيرة..
أنا بطبعي عصبي نافد الصبر أشعر أن الحياة أبطأ من اللازم.. والناس أكثر غباء من اللازم...
لكنني في الأيام الأخيرة صرت قنبلة زمنية سريعة الانفجار.. وصرت أتشاجر لأتفه سبب... وقمت بعقاب الطلاب في المدرسة مرارًا على أخطاء أقول ـ بكل أمانة ـ إنها هينة..
وفي المنزل لم أعد أطيق هذه المخلوقة التي لا تملك سوى التضحية من أجلي.. وبدت لي كئيبة ومملّة إلى حد لا يوصف..

كنت أخشى الليل إذا دنا وأحاول اجتنابه، لكني أمارس مهنة لا ترحم.. والنوم ليلًا جزء أساسي من عملي.. فهناك المدرسة صباحًا والدروس الخصوصية ظهرًا.. فمتى أنام إذن إن لم يكن ليلًا؟

لكني فعلتها..

جربت السهر عدة ليال متواصلة، وللسهر طرق عديدة أبسطها القراءة وضبط المنبه ليوقظك في الثالثة صباحًا.. وقد تتعقد أساليب السهر إلى درجة الخروج بعد منتصف الليل.. والجلوس في أحد مقاهي (الحسين) التي لا تنام.. واحتساء جالونات من القهوة..

ماذا يبقى من جهازك العصبي بعد كل هذا؟

كنت أخشى تكرار التجربة.. فهى كريهة بكل مقاييسها، ثم إنني أصحو من النوم شاعرًا بإنهاك عضلي عصبي كأنني كنت أصارع هذا الجاثوم حقًّا لا خيالًا..

ولقد لفتت زوجتى نظري مرارًا إلى كدمات في أكثر من موضع من جسدي عند الاستيقاظ، وهو ما يسميه العامة (ضربات ملائكة) كأن الملائكة تكيل لك الضربات في أثناء نومك؛ فكنت أرد عليها بأن هذا ليس من شأنها وأنها تخرف..

الخلاصة أن أخلاقي صارت - واسمحوا لي بالتعبير- (زي الزفت)..

وفي المرآة بدا لي وجهي كوجه خريج سجون ومسجل خطر.. أو كوجه شيطان

زنيم قادم حالًا من سقر ليملأ الأرض جورًا..
رباه! كانت أيامًا شديدة الوطء..
ثم بلغ الأمر ذروته أو - كما يقول أجدادنا العرب - بلغ السيل الزبى في تلك الليلة..
ليلة من ليالي شهر مارس هي..

* * *

كنت جالسًا في واحد من المقاهي التي لا تنام، أرشف قدحًا رابعًا من القهوة، وأطالع جريدة الغد.. أعني جريدة اليوم فنحن في الرابعة والنصف صباحًا، وكان المقهى شبه خاو فيما عدا حشدًا من الشباب التف

حول مائدة يتابع مباراة (نرد) حامية بين اثنين منهما..
عناوين الجريدة تتحدّث عن (عبد الناصر) في الجبهة، ومناورات حرب الاستنزاف، ومشكلات (جونسون) الرئيس الأمريكي في فيتنام...
وهنا أعتقد أنني غفوت ثانية أو أكثر..
لم أسترخ ولم أستلق.. بل هو شيء شبيه بغيبوبة تسرب بخارها إلى يافوخي لثوان.. ثم لم أعد أعرف أنني هنا..
(آخر الليل حين تحين ساعة الذئب).. ساعة الذئب هي تلك الساعة من الليل حين يغدو النائم في أضعف حالاته وأوهاها.. ويصير معرضًا لأي إيعاز أو مس شيطاني..

كنت ـ كالعادة ـ أحاول الفرار من ذلك الكائن المريع.. قمت بتسديد ركلة إلى ما أظن أنه مقتله.. المكان هو ذلك القبو المفزع حيث تمارس طقوس استجواب الموتى..

لم نبارحه بعد منذ خمس (حلقات) كاملة..

ليلة أمس تمكنت أصابع (النكرومانسر) المحتضرة من الإطباق على كاحلي، حيث تمدد على الأرض بلا حراك..

اليوم أركله في وجهه وأتملص من قبضته.. ثم أهرع نحو درجات سلم عتيق متهدم.. وأنا

(كيف لم أره من قبل؟)

أتحاشى النظر إلى الوراء..

كانت الدرجات تقود إلى باب موارب.. وأنت تعرف الرعب الكامن وراء هذه الأبواب المواربة في الكوابيس...

لكن ما ينتظرني في القبو لا يحتمل الانتظار..

وهكذا أهرع لأفتح الباب الثقيل ذا الصرير بيد منهكة.. وأخطو إلى الداخل خطوة..

تبًا! إن ما أراه هو كهف متسع يمتد إلى ما لا نهاية تدلى من سقفه الصخري عدد من الهياكل العظمية.. يبدو أنها كانت لبشر تم شنقهم وتركوا على الحبال منذ دهر..

أما ما كنت أقف عليه فهو بروز حجري يطل على هاوية.. الهاوية ملأى بسائل أحمر يفور منذرًا بالويل.. ويتصاعد منها

دخان خانق.. إنها حمم.. (لافا) كما يقول الجيولوجيون!

إذن لا مفر من هذه الناحية.. ما بين الأرض التي صهرتها النيران والسقف المزين بثريات آدمية..

لا بد من العودة.. لا بد...

ولكن الشيء كان قد وصل إلى الباب، وسده بجسده العملاق.. ثم راح يزحف نحوي!

هل أتراجع إلى الوراء؟ لا مفر أمامي.. ولكن ماذا عن الهاوية السحيقة التي تنتظرني؟

رحت أئن.. أئن.. وأتراجع.. و.... يا أستاذ!

* * *

ضربة عنيفة على كتفي.. ففتحت عيني..

كان هذا هو (القهوجي) الذي وقف ويداه في جيبي مريولته المتسخة ولفافة التبغ إياها يدسها وراء أذنه..

- «يا أستاذ! لا تنم! هذا ليس فندقًا!»

نظرت له غير مدرك لما يحدث، وقد شعرت لوهلة أنّ هذا جزء من الكابوس.. أضف لهذا الذعر الذي انتابني حين شعرت بأنني لست في فراشي.. بل أنا جالس في مكان عام بارد لا أعرف ما هو..

- «أنت لا تطلب مشاريب منذ ساعة..»

هنا عاد وعيي إليّ.. ومعه فار الدم في رأسي.. فصحت:

- «وهذه القهوة؟ رابع قدح اشربه هذه الليلة.. ثم ما الخطأ في أن أنام في المقهى؟ أنا لست في دار الأوبرا على ما أظن..»

كان سمجًا.. وقال كلامًا كثيرًا عن (الأفندية المتشردين) وعن زبائن آخر الليل الذين هم - بالصدفة - زبائن آخر زمن.. وكيف أنهم أسفل خلق الله طرًّا، وأن من تخلى الناس عنه ولفظته الشوارع يحسب المقهى مأوى لأمثاله و...

هنا لم أرد.. أو - على الأقل - لم أرد بالكلام..

وثبت لأنشب مخالبي في عنقه، ووجهت خمس أو ست صفعات إلى خديه الضامرين، أعقبتها بتطويحه على الأرض، ثم شرعت أوجه ركلات عشوائية

إلى ضلوعه.. حتى بدا أنني لن أتوقف حتى تقوم الساعة أو يموت أحدنا..

وفي النهاية كان أولاد الحلال - الذين يذخر بهم العالم - قد أبعدوني عنه، وامتلأ المكان هرجا ومرنا.. وصحا النائمون.. ورأيت دماء تغرق الأرض سالت من أنف القهوجي وفمه وأسنانه وأذنه...

وجاء صاحب القهوة (المعلم) يحاول الفتك بي، لكنّ أولاد الحلال ـ الذين هم في كل مكان - ابعدوه عني..

وكانت مشكلة خاصة حين ظهر رجل شرطة.. وكان هناك محضر تعد لي.. ومحاولات صلح... و... و...

وحين انتهي كل هذا كان ميعاد المدرسة قد حان!

* * *

في المدرسة كانت عصبيتي موضوع الساعة..

وكيف لي أن أعرف أن أخا زوجتي اختار هذا اليوم بالذات كى يأتي للحديث معي في موضوع معين؟

هو موظف ذو حيثية في عمله، ومعتد بنفسه.. وأنا أمقت المعتدين بأنفسهم لأنّهم يكشفون عن ضيق أفق غير عادي.. أنا لا أعتد بنفسي إلا لو كنت عبقريًا من عينة (نيوتن) أو (أينشتاين) أو (غاندي).. ومن الطريف هنا أن هؤلاء كانوا هم التواضع ذاته..

أما الأسوأ فيما يتعلق بشقيق زوجتي؛ فهو أنه يعاني حالة مزمنة من التدخل السافر



وثبت لأنشب مخالبى فى عنقه ، ووجهت خمس أو ست
صفعات إلى خدية الضامرين . .

في
حيا
تنا.
.
عل
ى
أسا
س
أن
تدخ
له
ض
رو
ري
..

وأنه لو لم يفعل العذبت أخته وجوعتها وأحرقتها بملعقة ساخنة..

في الماضي كان هذا يثير أعصابى..

أما اليوم بالذات فهو قمين بأن يثير جنوني..

قال لي حيث جلس في غرفة المدرسين يجرع المشروب الذي طلبته له:

- «إن حالك يثير القلق حقًّا.. ومنذ أسبوع كامل لم تبت، في دارك.. كنت تعود في السادسة صباحًا..»

- «أنت متابع نهم للأخبار..»

قال في وقار وهو يتجشأ من فعل (الصودا):

- «عصبيتك تزداد والكل يعرف هذا..»

ثم بدأ يلعب دور (الزميل) المتفهم.. قائلًا:

- «لو كان هناك ما يضايقك من (ع) فلتخبرني.. أنا وأنت رجلان يمكننا أن نفهم بعضنا.. انس قرابتي لها واجعل مني صديقك..»

قلت له في سأم وأنا أرشف القهوة:

- «لا مشكلة منها.. إنني أمر بحال نفسية سيئة لا أكثر..»

قال بلهجة العليم ببواطن الأمور:

- «أعلم هذا.. وأعلم أنك زرت طبيبًا نفسيًا وهذا يثير قلقي.. ثم إن ذقنك غير حليقة وثيابك غير مهندمة.. كأنك كنت تتصارع طيلة الليل.. رباه! لشد ما تغيرت.. لا تخف عني شيئًا.. إنّه الحشيش.. أليس كذلك؟ إن هذه العلامات لا تفوتني.. ربما الخمر؟ هذا يصدمنى فيك..

أنت الذي كان مثال الاستقامة والتدين..
إنك تنحدر.. الكل يعلم هذا، لكنك عنيد..
عنيد جدًا تأبى العون.. واسمح الى.....»
هنا شعرت بالبخار الأسود يتصاعد إلى
عيني:
- «هل حكت لك عن الأشياء التي أجدها
في الفراش؟»
- «أية أشياء؟ تقول: إنك مضطرب نفسيًا
وتمشي في أثناء النوم.. وأكثر من هذا..»
- «تبًّا لكما معًا!»
وبالطبع يا د. (رفعت) لك أن تتخيل ما
تلا هذا الموقف؛ وكل الصراخ الذي
تصاعد من حنجرتينا... فهذه العبارة
الأخيرة هي من (العبارات الخاتمة).. أي

تلك التي يستحيل الاعتذار بعدها أو التراجع عنها..

وبعدها لا تعود الحياة أبدًا كما كانت..

كان هناك عديد من المدرسين يحاولون إنهاء الموقف.. وكان هناك حشد من الطلبة وقفوا حول الباب يرمقون المشهد في شغف؛ وكلهم أمل في أن يحدث ما هو أسوأ..

وانصرف وقد احتقن وجهه، وتطاير اللعاب من فيه، وراح يردد في هستيريا:

- «لكني سأعرف كيف أربيك! قسمًا سوف أعرف كيف أربيك! ولكن صبرًا! إن لي صلات.. ولئن لم......»

- «أغلق هذا المجرور الذي ينبعث منه العفن!»

قلتها صارخًا.. وأوشكت أن أثب عليه لولا من أمسك بي..

وبعد ما ساد الهدوء المكان أخيرًا، وبعد ما سيق الطلبة الواقفون إلى فصولهم تحت تهديد العصى، كما يفض الإنجليز مظاهرة سلمية في الهند أيام (غاندي)، عندئذٍ فقط سمعت من يقول لي إن الناظر يريدني في مكتبه.. ليس للحديث عن الفن التأثيري طبعًا..

وعندئذ فقط عرفت ما يقودني إليه ذلك الجاثوم..

* * *

كانت الدار خاوية تمامًا..

وعلى مائدة الطعام كانت هناك وجبة باردة مُعدة.. ورسالة بها كلام فارغ مملوء بالأخطاء النحوية والإملائية والبلاغية..

لقد رحلت زوجتي.. بالتأكيد علمت ما حدث في المدرسة.. وبالتأكيد هي ستقيم في دار أبيها حتى أذهب صاغرًا لأعدها بأنني لن أحلم مرّة أخرى بالكوابيس...

عجيبات هؤلاء النساء! إنهن يفتقرن للمنطقية في كل شيء.. هي بالذات تعرف ما يجري في عقلي هذه الأيام، وتعرف أنني قد زرت الطبيب النفسي مرارًا.. وبرغم هذا كله تجد أن سلوك غريب إلى درجة الهجر..

لكني أعرف سذاجتها وطيبتها، وأعرف أنّ هذه القرارات الحازمة ليست من

ديدنها.. بل هناك من أملاها عليها إملاء...
على كل حال هي قامت بآخر واجب نحوي.. كعادتها في حب الاستشهاد والظهور بمظهر الضحايا.. أعدت لي غدائي.. وبعين الخيال أراها تردد طيلة اليوم في مجلس أسرتها:
- «إنني لم انس غداءه حتى في أحلك اللحظات»
إذن لأستمتعن بهذه التضحية خير استمتاع.. فأنا لا أتخلى عن شيء دفعت ثمنه مقدمًا.. ثم إنني لست من البلهاء الذين يفقدون شهيتهم حين تسوء الأمور..
فما ذنب المعدة في كل هذا؟

* * *

انصرف آخر طالب من داري..
فجلست ألتهم العشاء.. وأتابع شاشة التلفزيون بذهن مشتت.. كان الفراش يدعوني وأنا لم أذق النوم أمس...
لكني أهابه.. أهابه كثيرًا..
إن هذا الفراش مسرح ستؤدى عليه بعد ساعات مسرحيّة شديدة البشاعة والهول..
أعرف أنني سأبدأ الكابوس بتلك اللحظة الرهيبة..
أنا واقف على حافة الهاوية أحاول التماسك، بينما الجاثوم يدنو منى متمهلًا.. ولا بد أن أسقط..
هنا خطرت بذهني فكرة لا بأس بها..

إذا كانت الماديات تسافر من داخل الكابوس إلى عالمنا، فلم لا يحدث العكس؟

لقد كان الشاعر الإنجليزى اللورد (بايرون) ينام بمسدس - كان اسمه وقتها غدارة - تحت وسادته؛ كي يقاتل من يزوره في المنام من مسوخ..

لماذا لا أفعل ذات الشيء؟

ليست لديَّ غدّارة.. لكنّ عندي ما هو خير منها أو مثلها..

وابتسمت في خبث...

* * *

٦ - دعنا نفر بعيدًا..

أعترف بأنني أشعر بالخوف..

إنني لم أكن وحيدًا في حياتي قط.. ولقد تركت بيت أسرتي المزدحم إلى هذا البيت مباشرة فلم أمر بوحدة أو عزوبة..

لهذا يثير هلعي أن أنام.. وحدي أنام في الظلام فريسة سهلة.. لا أدري ما يحدث في الردهة المظلمة، ولا ما يحدث في غرفة الصالون الموصدة دومًا..

وعندما تحين (ساعة الذئب) لا يعلم سوى الله ما قد يحدث لي...

* * *

وأخيرا انتصرت الفسيولوجيا..

غبت في الظلام المقدس.. الظلام الذي كنا نراه في أرحام أمهاتنا.. وبدأت الرؤى..

مرة أو مرّتين صحوت من النوم لأتأمل قرص المنبه الفوسفوري في الظلام، وأنظر إلى جانب الفراش الذي كانت (ع) تنام فيه.. شاعرًا أنها مازالت هناك وأن أنفاسها تتردد..

إن من بترت أطرافهم يعانون لفترة طويلة الشعور الوهمي بها.. ويحركون أصابع لا وجود لها.. ويشعرون بملمس أشياء لم يلمسوها.. وهو ما يسميه الجراحون باسم (الطرف الشبح)..

هكذا بترت (ع) من حياتي.. لكنّها ـ بشكل ما ـ ما زالت هنا..

آخر الليل يدنو..

وحين بدأ الحلم التالي عرفت أن ميعادي مع الجاثوم قد حان.. وهأنذا أقف في ذات الموضع على حافة الهاوية، مترددًا بين الوثب في الحمم أو انتظار الشيء المريع القادم من ورائي..

وهنا تذكرت...

هذه المرّة لست أعزل.. بل أنا مسلح بسلاح قاتل حقًّا..

كان هذا هو المنشار الكهربي الذي وضعته في الفراش جوار (الكومود) قبل النوم، وأوصلته بالقابس...

والآن - في المنام - أراني أمسك به وأشغله..
فروووووووووم!
القرص المسنون القاتل يتحرك باحثًا عن شيء يبتره..
كان الوحش أمامي.. جسدًا مليئًا بنقاط الضعف..
وكنت أنا في وضع يسمح لي بكل شيء..
وهكذا دار القرص دورته، وانغرس في اللحم.. وسمعت صوتًا غاضبًا شبيهًا بهدير دراجة بخارية..
في اللحظة التالية وثبت جانبًا حين انقض على الشيء الذي جن جنونه...
سمعته يحاول استعادة توازنه، ثم هوى دون إنذار إلى الهاوية.. ولم يكن عندي ما

يكفي من وقت كي أتملى مشهد السقوط، لأنني كنت أوشك على أن أفقد التوازن أنا الآخر..

ولحسن الحظ أن المنشار انزلق لينغرس إلى منتصفه في الصخر، مما جعل منه وتدًا أتشبث به بكلتا يدي..

وحين استعدت توازني نظرت إلى أسفل.. للأسف!

لم يكن قد غرق في الحمم.. بل هو متشبث بالحافة وهو يرمقني في كراهية بعينين حمراوين..

يجب أن أتراجع.. يجب أن....

هنا شعرت باليد المخلبية المريعة ترتفع لتقبض على كاحلى!

وأدركت أنه يجذبني من أسفل نحو الحافة..

* * *

كنت أئن.. أئن..
وحين صحوت من الكابوس مبللًا بالعرق البارد.. أرتجف كورقة؛ أدركت أن الجاثوم وضعني مرّة أخرى في مأزق..
يجب انتظار حلقة غد لمعرفة ما حدث..
أضأت الأباجورة وملت على (الكومود) بحثًا عن المنشار الكهربي.. لكنه لم يكن هناك!
هذا طبيعي.. ألم أتركه مغروسًا في الجدار الحجري داخل الكابوس!
وضحكت في هستيريا..
يجب أن أستعيده غدًا لأن ثمنه باهظ.. ولأنه أكثر قيمة من كل الهراء الذي حصلت عليه من كوابيس سابقة..



سمعته يحاول استعادة توازنه ، ثم هوى دون إنذار إلى الهاوية . .

أما الآن وقد انتهى الكابوس فلا أرى ما يمنع من أن أنام نوما هادئًا مطمئنًا.. ومن يدري؟ لعلى أحلم بالزهور أو الغزلان أو البحار الجنوبيّة هذه المرّة..

* * *

سألته وأنا راقد على الأريكة أتأمل المدفأة تتوهج بذلك اللون الأحمر الغامض:

- «هل استحققت لقب (مجنون) بعد؟»

قال د. (م.ن) بصوته الرتيب المريح للسمع:

- «لا أظن هذا.. فيما مضى كان الجنون هو ما يسمون به حالتك.. ثم جاء علم النفس ليطلق عليها أسماء جميلة غامضة

مثل (عصاب) و(وساوس) و(ضلالات)..»

قلت له وأنا أغطي وجهي بكفي:

- «لكنّ زوجتى رأت ما رأيت..»

- «لكنّها ليست هنا كي تؤكد أو تنفي..»

- «أنت لا تثق بكلامي إذن..»

- «بل لا أثق بعقلك.. لكنك صادق فيما تعتقده..»

ثم - بعد هنيهة صمت - تساءل:

- «هل فقدت عملك بعد المشادة إياها؟»

- «لا.. ليس إلى هذا الحد.. كانت لديَّ (روشتات) عدة منك تثبت أنني أتلقى علاجًا نفسيًا.. وقد جعل هذا الناظر مذعورًا مني.. لم يجسر على اتخاذ رد فعل ما.. نصحني بأن آخذ إجازة..»

قال د. (م.ن) وهو يخط شيئًا على الورق:

- «تريد رأيي؟ أعتقد أنّ هذا سيكون مناسبًا..»

- «لكنّ حياتي.. وعملي.....»

- «إن حياتك رتيبة ومملّة أكثر من اللازم.. كثور - واسمح لي - مربوط في ساقية.. أعتقد أنّ هذا الضغط قد أحرق مصباح جهازك العصبي..»

- «والحل؟»

- «الحل هو الفرار بعيدًا.. بعيدًا..»

- «والدروس الخصوصية... و...؟»

- «لو لم تفر فأنت حتمًا فاقد ما هو أكثر من بضعة جنيهات تأخذها من الآباء..»

تنهدت في استسلام ولم أجد ما يُقال... الفرار...

حتمًا.. ولكن إلى أين؟
أنا - بطبعي - عاجز عن الاسترخاء.. ولست من هؤلاء القوم الذين (يتنزهون).. لا بد من هم ما، يطاردني طيلة الوقت وإلا ما عددت نفسي حيًّا..
سأسافر.. ولكن إلى أين؟

* * *

فرغت من تصحيح الكراسات جميعًا..
سيكون هذا آخر عمل أقوم به في المدرسة قبل بدء إجازتي.. ومددت يدي لأطفئ النور الكهربي.. ثم تقلبت في الفراش وتدثرت بالغطاء..

أستطيع أن أظل ساهرًا.. لكني لا أعرف جدوى ذلك.. فالجاثوم إن لم يأت هذه الليلة آت غدًا أو بعد غد..

وحينما جاء آخر الليل؛ سمعت من بعيد صوت ديك يصيح.. ديك يعاني عطبًا في ساعته البيولوجية حتمًا..

وبدأ الكابوس من حيث انتهى..

مخالب الكائن تقبض على كاحلي تحاول أن تجذبني إلى الهاوية.. وأنا أحاول أن أصرخ دون جدوى..

تشبثت أناملي بالصخور الملساء..

وهنا وجدت المنشار الكهربي في يدي..

ولم يكن هناك خيار.. أدرت الأداة القاتلة وبيد مرتجفة هويت بها على معصم المخلوق..

وعلى الفور دوّت الصرخة.. وتردد صداها في الهاوية..

ومن الطرف المبتور تصاعد دخان أزرق.. وانتثر سائل لزج مقزز أخضر اللون ليلوث كل شيء..

لكن اليد الأخرى ظلت ممسكة بالحافة الصخرية..

من ثم أزمعت أن أبترها هي الأخرى، وأتخلص للأبد من هذا المسخ، الذي ستبتلعه الحمم بعد ثوان...

ركعت على ركبتي.. وتأملت الوجه المقزز الذي يرمقني في إصرار.. وبحذر بدأت أحاول الوصول إلى يده السليمة..

لكني شعرت عندها بيد أخرى توضع على كتفي..

نظرت للوراء، فوجدت النكرومانسر ـ الذي نسيت أمره تمامًا ـ يقف خلفي.. وقد رأيته من تلك الزاوية المنخفضة التي يستعملونها في السينما للدلالة على السيطرة أو التملك..

قال لي بصوت رتيب لا انفعال فيه:

- «تشجع..!»

وكان هذا آخر ما سمعت..

لأنني شعرت بأنني أهوي من حالق نحو الهاوية..

صرخاتي تدور في الأرجاء.. والحقيقة المروعة تقتلني: لا توجد أرض تحت قدمي..

* * *

انتفضت رعبًا.. وصحوت من النوم صارخًا كالعادة:

- «لا يمكن أن يستمر الوضع هكذا.. إن ما أنا فيه هو الكابوس الحقيقي الذي لا مفر منه سوى بالانتحار - وهذا مستحيل ـ أو الجنون - وهذا ليس بيدي - لأن أحدًا لا يملك معاونتي..»

كان المنشار الكهربي على الأرض جوار الفراش...

لا بأس.. على الأقل لم أخسر كل شيء..

وكان ألم ممض، يمزق كاحلي.. لماذا؟

الإجابة واضحة.. لأن آثار مخالب الوحش ظاهرة على جلد الكاحل بوضوح تام...

وثمة شيء أكثر أهميّة..
هل حدست ما هو؟

❋ ❋ ❋

٧ ـ البجعة الوحيدة..

جالسًا جوار نافذة القطار رحت أتسلى بمطالعة مجلة سخيفة، وأتأمل شريط الحقول الذي يزحف كثعبان طويل أخضر..

ثلاثة أسابيع في الإسكندرية.. سيكون هذا علاجًا ناجعًا لتوتري وعصبيتي.. أضف لهذا تلك المغامرة غير المسبوقة لي: ألا يكون أمامي موعد ما أو مشكلة ما.. ألا يثير هذا الشغف؟

اعتذرت للطلبة، وأبلغت زوجتي - من خلال وسيط - بسفري، وحزمت حقائبي..

ليس لي أحد في الإسكندرية، لهذا سأقيم في (بنسيون) صغير تديره عجوز يونانية شمطاء.. إن لهذا مذاقًا ممتعًا كمذاق قصص (نجيب محفوظ).. ولن أدهش كثيرًا لو رأيت (حسني علام) جالسًا في البهو يرشف القهوة[4].

والحق أنني ما كدت أبرح القطار حتى بدأت أشم في الجو هذا العبق المميز لهواء البحر..

شعرت أن الاسترخاء قد بدأ يداعب روحي.. ومخاوفي تزول كما يزول الوحل عن ثوب غمرته في البحر الأبيض المتوسط ثلاثة أسابيع..

* * *

وفي ضوء النهار، وعلى صوت الأمواج التي ترسل لي شذرات من بللها كأنما تلثم خدي على استحياء؛ بدا لي ما مررت به كابوسًا ثقيلًا لكنه لا يمت بصلة للواقع..

إنني حي.. وهذا نصر في حد ذاته..

إنني لم أفقد زوجتي ولا عملي.. كل ما هناك هو أنني أمر بفترة ابتعاد صحي عنهما.. وحين أعود سأكون أفضل وأقوى..

كانت لافتة (البنسيون) أمامي.. وأنا لن أذكر اسمه ولا مكانه، لكني أقول لك إن له اسمًا يونانيًا موحيًا..

وكانت مدام (إيريني) بانتظاري حين دخلت المكان.. حيث جلس نفر من النزلاء

يقرءون او يشاهدون جهاز التلفزيون.. وكلهم لحسن الحظ طراز من الشيوخ المهذبين الوقورين قليلي الكلام...

(ملحوظة د. (رفعت):

عرفت (البنسيون) الذي يتحدث عنه! فمن المصادفة أنه ذات المكان الذي كنت أقضي فيه ليالي الجمعة قبل عودتي للقاهرة، وذلك حين كنت خطيب (هويدا).. أذكر المكان وأذكر مدام (إيريني) التي تزعم أنها من سلالة ملوك.. ولكن.. كم من أعوام مضت من حينها!)

نعود لكلام الأستاذ (هـ)..

ما إن استقررت في غرفتي.. وتخلصت حقائبي من أحمالها؛ حتى ارتديت ثيابًا

خفيفة.. صحيح أن الشتاء لم ينته بعد لكنّ الجو دافئ إلى حد كبير..

وخرجت أجول في المدينة الحسناء، أشعر تحت قدمي بملمس قدمي (كليوباترا) الدقيقتين، وصندل (الإسكندر) الثقيل، وخفي (محمد كريم) إذ خرج ليواجه جند الصاري عسكر (بونابرطة).

وكانت البداية في كافتيريا صغيرة تحمل اسم (بورصة الـ...).. حيث جلست أرشف القهوة وأدخن وأتأمل المارَّة..

كنت أفكر دون انقطاع..

أتراني مجنونًا حقًّا؟ أترى كل ما مررت به من تفاصيل كان تلفيقًا من ذهن مكدود وطفولة معقدة؟

مستحيل.. أنا أعرف نفسي... وأعرف أنني لم أن بعد.. ولكن كل المجانين يزعمون أنهم يعرفون أنفسهم مثلي..

حسن.. لنقل بقوانين الاحتمالات إنني قد أكون مجنونًا بنسبة ٥٠٪ فماذا بيدي أن أفعل؟!

* * *

مرت ثلاث ساعات على..

وبدأت أدرك في هلع أنني أشعر بالملل! بعد ثلاث ساعات كنت قد قمت بكل ما يمكن أن يقوم به رجل وحيد.. ولم يعد سوى فراغ محبط مرهق.. وبدأت أفهم

حقيقة أن ثلاثة أسابيع هي وقت طويل جدًا بالنسبة لإنسان وحيد..

إن عبء هذه الأسابيع يجثم كالصخرة على روحي..

سأظل أمشي في الشوارع، وأرتاد كل المقاهي، وأرشف كل شيء بدءًا بعصير الليمون وانتهاء بالقهوة السادة، وأدخن حتى أصاب بسرطان الرئة.. ثم ماذا بعد هذا؟

إن السينما حل لا بأس به حاليًا..

ستمر عليّ ثلاث ساعات أخرى أقضيها في حلم.. ثم أعود إلى (البنسيون) لألتهم عشائي وأنام.. وبذا ينتهي اليوم الأول من فترة سجن الاسترخاء هذه..

كانت هناك سينما في الشارع تعرض تحفة (كاكويانيس) التي سماها هو (يوم طفت الأسماك ميتة)، وسماها الموزع (الرقص على الهيدروجين).. وأنا رجل أعشق الدقة والتحديد لهذا أمقت الفنون جميعًا لأن الخيال هو محورها.. لكنّ هذا الفيلم يستحق بالتأكيد...

وهكذا.. جلست في مقعدي أتابع أحداث القصة المسلية التي قد تحدث عاجلًا أو آجلًا.. وفاجأت نفسي أضحك أكثر من مرة من كوميديا الموقف الراقية، عندها فهمت سحر السينما.. إن مشكلاتي في عملي ومع زوجتي ومع حالتي النفسية تتوارى بعيدًا.. بعيدًا.. ولم يعد يعنيني في الحياة سوى

قضية الصاروخ الهيدروجيني الغارق على ساحل جزيرة يونانية غافلة..

في مرة ضحكت وارتكزت على جانبي المقعد، فاصطدمت كفي بكف من يجلس إلى جواري.. غمغمت بعبارة اعتذار ونظرت نحوه..

الواقع أنني نظرت نحوها.. لأنّها كانت فتاة.. فتاة ترتدي العوينات وتعقص شعرها، وقد انعكس ضياء الشاشة على زجاج عويناتها فبدا كأنما يضيء هو ذاته.

لم أستطع تمييز ما هو أكثر، لأن الضوء لم يسمح بأكثر..

كانت وحيدة.. لأن المقعد المجاور لها كان خاليًا.. وتعجبت من كوني لم ألحظها من قبل..

قلت لها مواصلًا اعتذاري:
ـ «معذرة.. فأنا حين أضحك لا أتمالك نفسي..»
قالت بصوت مشع كعويناتها:
- «هذا غريب.. لا أرى ما يضحك هنا.. إن القصة محزنة حقًّا!»
ـ «إنّه كل هذا الحمق الذي يتصرّف به أهل الجزيرة.. الحمق يثير ضحكي دائمًا.. إن الفيلم يسخر من كل هذا..»
- «إنهم ليسوا حمقى.. إنهم بسطاء..»
وعادت تتابع الأحداث.
أما أنا فقد شدتني البساطة ـ دون حمق ـ التي تكلمت بها مع غريب مثلي.. كأنها تعرفني من زمن.. وبرغم هذا لا تبدو متحررة أو وقحة.. كأنها تناقش زوجها أو

أخاها بلا أي غرض سوى المناقشة في حد ذاتها.. إن هذا الأسلوب يحير الرجل الشرقي الذي لا يتوقع من الفتاة إلا أنّ تكون شديدة الحياء أو شديدة المجون، ولا يفهم أي أسلوب آخر في التعامل..

ولكن ـ لن أطيل عليك ـ مضينا نشاهد الفيلم ما، ومع الوقت تبادلنا الكثير من التعليقات والآراء..

وللمرة الأولى وجدتني قد نسيت تمامًا أنها أنثى.. إنها صديق مثقف ذكي يجلس إلى جواري في السينما، وينعش روحي بآرائه الشائقة غير النمطية.. التي لا تفسد ما نراه على الشاشة..

وحين صرخ القوم في وسط الكرنفال:

- «إن الأسماك تطفو ميتة!»

وحين راح مكبر الصوت يردد بلا انقطاع:

- «انتبهوا!»

قالت لي وهي تخلع عويناتها لتضعها في حافظتها:

- «هذه هي نهاية الفيلم.. (كاكويانس) يحذر العالم الغافل من خطر التلوث النووي.. والآن هيا بنا نرحل قبل أن يبدأ الزحام..»

سألتها وأنا أنهض وأفسح لها الطريق كي تتقدمني:

- «هل رأيت الفيلم من قبل؟»

- «ست مرات!»

ومشينا صامتين نحو المخرج المضيء نحاول ألا تتعثر أقدامنا في الظلام..

وعندما غمرنا النور أخيرًا استطعت أن أرى وجهها...

لم تكن جميلة على الإطلاق بل هي أقرب إلى القبح.. لكنّ شيئًا ما ساحرًا في وجهها يجعلك تحب النظر إليها مرارًا..، وكانت هشة نحيلة كقضيب من زجاج، وبدت لي ثيابها بسيطة أنيقة محتشمة.. إنها (بنت ناس) بالمعنى الشائع للكلمة..

قلت لها في تهذيب:

- «انا (هـ).. مدرس من القاهرة..»

ابتسامة خافتة على وجهها وهي تقول بصوت مشع:

- «(إيناس).. مدرسة من الإسكندرية!»

يا لها من مصادفة! حسبتها من المهتمات بالفلسفة أو الأدب.. أو من خريجات الفنون

أو معهد السينما..
- «وماذا تدرّسين إذن؟»
- «أقوم بتدريس الرسم لطالبات المرحلة الإعدادية..»
- «آه.. هذا يفسر كل شيء..»
- «لا يفسر.. أنت تعرف مقرر الرسم وتعرف ألا علاقة له بالفن بتاتًا.. تصميم مفرش.. بطاقة معايدة.. عروس المولد.. عيد الأم.. كلها مواضيع وضعها موجهون يمقتون الفن ويحاولون جعل الطلبة يمقتونه بالمثل..»
لا أدري متى ولا كيف جلسنا في الكافتيريا نتحدث عن كل شيء.. إن هذه التفاصيل لا تهم أحدًا سواي.. ولو كان لي أن ألخص الموقف في سطور لقلت لك:

إنني تعرفت فتاة في السينما.. وقمت بدعوتها إلى قدح من الشاي..

إن التفسير الخلقي الصارم يقول: إن هذه فتاة مستهترة، تقبل أن يدعوها إلى الشاي رجل لم تره إلا منذ ساعة..، لكني ـ أؤكد لك ـ لم أر فيها شيئًا كهذا.. كانت مهذبة بسيطة عفوية.. فيها (طهارة تبعث التقديس في مهجة الشقي العنيد) و(ورقة تكاد يرف الورد منها في الصخرة الجلمود) على رأي الشاعر التونسي العظيم (أبو القاسم الشابي).. وأنا رجل غير شاعري يا د. (رفعت).. بل أنا أمقت الشعر مقتًا.. لهذا صدّق ما أقول دون جدال..

كانت (إيناس) في الثلاثين من عمرها.. مطلقة.. ليس عن عيب فيها، بل في ذلك

الذي تزوجها وهو أنه:
- «.. مستهتر.. لا يعرف قيمة البيت ولا الأسرة..»

وبعد ما استعادت حريتها، صممت على أن تعيش الحياة التي تريدها هي لا التي يختارها لها أهلها.. وكان أول شرط لها في هذه الحياة هو أن تخلو من الرجال.. لأن...

- «الرجال يفسدون كل شيء.. ولا يحترمون حرية المرأة.. ولا يتركون لها فرصة الاستمتاع بالفنون، لأنّهم يعتقدون أنها لا تحب الفن عن أصالة بل ادعاء..»

أعترف لك يا د. (رفعت) أنني أنا ذاتي من هذا الطراز الذي تتحدّث عنه.. وأؤمن أن المرأة لا تدرس في الجامعة إلا لتتزوج جامعيًا.. ولا تعزف على البيانو إلا أملًا في الظفر بعريس يحبّ الموسيقا.



لا أدرى متى ولا كيف جلسنا فى الكافتيريا نتحدّث عن كل شىء . . أن هذه التفاصيل لا تهم أحدًا سواى . .

لكن (إيناس) قررت أن تكون مستقلة.. وهي اليوم تعيش في شقّة بالإسكندرية مع ثلاث من صديقاتها.. بعضهن مدرسات وبعضهن موظفات.. ومن هذا تستنتج أنها ليست اسكندرانية أساسًا....

- «وماذا عن أهلك؟»

- «حاولوا كثيرًا.. وكانوا في غاية الحنق.. ثم بدءوا يفهمون أنني لا أفعل ما يخالف عقائدي وتربيتي.. كما أنهم شعروا بالذنب لأنّهم دمروا حياتي فيما سبق دون جريرة مني... لهذا تركوني.. لكنّ تحت رقابة صارمة.. إن أخي يزورني ثلاث مرات كل أسبوع.. وكذا أمي كل شهر..»

سألتها وأنا أرشف ما بقي في قدحي:

- «إذن أنا لا أدخل في قائمة الرجال؟»

احمر وجهها قليلًا وقالت:

- «لا.. بالطبع.. فقط تبدو مختلفًا عن الآخرين.. ثم إن الرجل الذي يشاهد فيلم (الرقص على الهيدروجين) بهذا الانفعال، حتى لا يشعر بوجود فتاة وحيدة بجواره لهو رجل يختلف..»

وحين انصرفنا كنا قد صرنا صديقين حقًّا..

ونظرت نحوها وفي عيني سؤال صامت: هل هناك مرّة أخرى؟

لكني لم أجرؤ على الكلام حتى لا تحسبني (كالآخرين)...

قالت هي في بساطة وقد قرأت أفكاري:

- «بالطبع يمكن أن نلتقي هنا غدًا.. لكني أحذرك..»

والتمعت نظرة شرسة إلى حدٍ ما في عينيها:

- «لا تحاول أن تحدثني عن سهرك وسهادك في حبي.. أو أي ضرب من هذا الكلام الفارغ.. وإلا لن تراني ثانية..»

- «هذا وعد...»

* * *

كانت الحادية عشرة مساء حين عدت إلى (البنسيون)..

كانت غرفتي مريحة منسقة بها رائحة عطرية خفيفة.. وكانت دافئة كقدمى رضيع في حضن أمّه...

سأغفو هذه الليلة كخلد الماء - لو كان هذا الحيوان يغفو - ولن أرى أية كوابيس.. فأنا خال من التوتر.. خال من العصبية.. خال من أحزان الأمس وإرهاق اليوم ومخاوف الغد.

مددت يدي إلى الكتاب الذي قررت أن يكون معي في سفري، وهو كتاب (تفسير الأحلام) للعالم العظيم (سيجموند فرويد).. واستلقيت في الفراش أطالع هذا العمل شديد التعقيد والذي لا يمكن التحقق منه أبدًا.. فقد يكون عبقريًا وقد يكون نوعًا من القياس الخاطئ المبالغ فيه..

يرى (فرويد) أن الأحلام ليست لها قدرة تنبؤية ما.. بل يرى أنها هي التعبير عن عقلنا الباطن الذي يتحرر في وقت النوم،

فيبدأ في الإفصاح عن نفسه وعن رغباته المكبوحة المكبوتة..

لكن رقابة من نوع ما تسيطر على هذه العملية.. ولهذا تظهر الأشياء بشكل رمزي.. والشطرة الأولى من بيت الشعر تقال في الحلم للدلالة على الشطرة الثانية.. وتحريف الألفاظ والأرقام للبعد عن معناها يتم على نطاق واسع...

قد ترى في الحلم تنويعًا على شيء رأيته وعمرك خمسة أعوام.. مع مكان رأيته اليوم فقط... مع عبارة سمعتها من عامين من بائع في السوق، وكل هذا يُراد به معنى ما.. لا تجرؤ على مصارحة نفسك به..

إنه كتاب رهيب.. يخوض بك عبر كهوف لم يرتدها إنسان من قبل.. هي كهوف ذاتك، التي هي أكثر غموضًا ورهبة من أى كهوف في أصقاع (سيبريا) أو صحارى إفريقيا أو جبال (الهيملايا)..

لكن الكتاب - بعد مراجعة سريعة له ـ لم يقدم لي إجابة السؤال الذي كنت أريده.. لم يحدثني عن (الجاثوم)..

غدًا أقرأ فصولًا من كتاب (ابن سيرين) علّه يقدم الى الحل...

قبل أن أطفئ الضوء نهضت إلى حقيبتي..

أخرجت منها كيسًا ورقيًا غلفته بإحكام وقمت بربطه بحبل...

جئت معي بهذا الكيس من القاهرة، فقط لأتأكد من عدم جنوني.. وهذا الكيس يحوي شيئًا أكثر أهميّة من بعض الفطير أو الكعك أو ما إلى ذلك مما يحمله مسافر معه..

إنه يحوي يدًا مبتورة..

يد الكائن التي قطعتها في حلم البارحة...

* * *

٨ - هل هو حق؟

نعم.. هذه هي الحقيقة..

إذا أنت لم تصدقها يا د. (رفعت) فهذه مشكلتك أنت.. إن شمس منتصف الليل ستظل تظهر في (النرويج) سواء صدقت هذا أم لم تصدقه..

لقد انتهى الكابوس السابق بأثر مادي أكيد، هو انطباق يد (الجاثوم) حول كاحلي.. وحين أفقت من النوم كانت اليد هناك.. وجدتها في مكان ما بين الأغطية وأنا أحاول العودة للنوم..

طبعًا لا تسل عن الذعر الذي أصابني، ولا التقزز الذي دهاني.. فكل هذه أشياء مفروغ منها...
لكني على الأقل أملك الآن دليلًا ماديًا:.. أثرًا لا يمكن الحصول عليه بالمشي في أثناء النوم.. وأنا ـ إذن - لا أهذي..
لكنني - كذلك ـ كنت أعقل من أن أعرض كشفي على الملأ.. فإن أحدًا لن يجد ما يثير شغفه في كف مخلبية يكسوها الشعر، أزعم أنا أني عدت بها من كابوس مرعب..
قمت بلفها بعناية في كيس من المشمع، ثم في كيس ورقي.. وحملتها معي في حقائبي عازمًا على الاستفادة منها بشكل ما....

الآن فقط أتذكر حقيقة وجود هذا الأثر المفزع معي..

* * *

وكان نومًا موصدًا ثقيلا خاليًا من الأحلام...
أحيانًا أستيقظ ـ كدأب من ينامون في مكان غريب ـ متوقّعًا أنني سأرى الكومود على يساري، والمنبه فوقه، والباب عند قدمي، ثم كنت أفقد توازني اللحظة وأنسى أين أنا، ثم أستعيد بديهتي وأتمتم بدعاء النوم، وأغيب من جديد في السحابة السوداء...

وهكذا لم أدر أنه آخر الليل، إلا حين سمعت صراخي..
الحمم تقترب مني بسرعة مذهلة، ولا أرض تحت قدمي...
ومن فوق رأسي أرى النكرومانسر واقفًا على الحافة يرمقني في شغف.. وأرى الكائن المعلق بيد واحدة من الحافة..
وأمد ذراعي إلى جانبي.. بكل نداء الغريزة التي أورثها إياه أجداد كانوا لا يجدون مأوى سوى غصون الأشجار..
إن قلبي سيتوقف ها هنا حتمًا.....
وهنا أشعر بغصن الشجرة. لا أدري من أين جاء - يتعلق بسترتي.. وأجد أنني أتدلي في الهواء الحار كأرنب معلق من قذاله....

ثمة فتحة يكتنفها السواد إلى جواري..
إنه كهف فغر فاه بانتظار فرائسه الآدمية..
إن الهاوية من تحتي.. والوحشين فوق رأسي..
لن يكون هذا الكهف أسوأ احتمال إذن...
وأتلوى بعنف حتى أنجح في حشر جسدي داخل الفتحة...
إن الظلام دامس.. دامس.. ظلام بكر لم تتلوث عذريته بالضوء من قبل.. ربما منذ بدء الخليقة...
إن هذا القصر العجيب.. كأنه بني فوق مجموعة كهوف كاملة.. فلأدخل.. ولا أفكر في الثعابين ولا الحفر ولا الانهيارات..

تبًّا للظلام! إنني من هذا الطراز العجيب من البشر الذين يختنقون في الظلام، كأنما يجثم اللون الأسود على صدورهم..

ثمة شيء في هذا الموضع كأنه

(رباه! إن هذه الأرض لينة تمامًا!)

مقبض مثبت في الصخر..

هل أجذبه؟ لم لا؟

وجذبته.. عندها حدث شيء لم أتبينه جيدًا..

لكني وجدت نفسي في الشمس.. في العراء..

كان هناك حقل قمح يمتد أمام نظري إلى ما لا نهاية، له ذلك اللون الأصفر الوحشي المميز للوحات الهولندي (فان جوخ)..

وكنت أركض.. أركض..

هذه المرّة كانت سرعتى أكثر من المعتاد.. كنت أخف مما أنا عليه بكثير، كأنني في مرحلة

(صوت المحرك هذا!)

انعدام الوزن.. و....

وحين نظرت للوراء؛ رأيت الجاثوم يعدو تجاهي! كيف نجا؟ بالتأكيد بنفس الكيفية التي غادرت أنا بها الكهف.. وهو على بعد خمسين مترًا مني...

انا أعدو.. وهو يعدو....

من الغريب أن سرعته كانت بطيئة جدًا تتناسب مع حجمه.. لكنه كان يقطع مسافات لا قبل لي بها..

والفجوة بيننا تضيق.. وتضيق..

.. زدت السرعة أكثر فـ

(ألا يوجد فلاحون هنا؟)

زاد السرعة أكثر..

وهنا تعثرت فهويت منكفئًا على وجهي بين عيدان القمح..

وعرفت أنّ هناك ما أمسك كاحلي.. مما جعلني أتعثر...

ونظرت لأرى ما هو؟ فوجدتها يدًا.. يا مشعرة مخلبية كانت قابعة بانتظاري بين السوق، كي تعرقلني...

إنها يد الجاثوم.. وهي تحاول تعطيلي إلى أن يلحق بي صاحبها..

مستحيل أن أنتظر.. لا!

بم تتشبث هذه اليد المبتورة كي تقبض على كاحلى كفخ لصيد الدببة؟

إنها لا تملك ما تمسك به؟

ً ً

لكنها عنيدة حقًّا.. ثابتة في الأرض حقًّا.. متى خرجت من كيسها؟ ولماذا جاءت إلى الحلم؟

لا وقت للتساؤل لأن..

لااااااه!

* * *

!اااااه

وكان أول ما فعلته حين صحوت من الكابوس هو أن كشفت الغطاء كي أرى كاحلي.. لم تكن اليد هناك..

وثبت إلى حقيبتي في الظلام، فاصطدم إصبعي بشيء خشبي كاد معه الألم يفقدني صوابي..، وحين أضأت النور الكهربي وجدت أن اللفافة التي تحوي اليد ليست ها هنا...

إذن.. كان الشيء معي داخل الكابوس، ونسيته هناك.. لابد أنه تخلى عن كاحلي في لحظة الإنتقال...

عدت لإغلاق النور، وفي الظلام رحت أتأمل موقفي..



بِمَ تتشبث هذه اليد المبتورة كى تقبض على كاحلى كفخ
لصيد الدببة ؟

للمرة الأولى يخرج حلمي إلى الشمس والنور.. وإن لم يك أقل إرعابًا مما كان في الظلام...

من المفهوم أنني قد فررت من القصر إياه - بطريقة ما - ورحت أركض في الحقول بينما الشيء ورائي..

ماذا سيحدث غدًا؟ لا أدري حقًّا.. إن أسلوب التشويق إلى الحلقة القادمة هذا يثير أعصابي.. ذلك الأسلوب الذي يدعوه صناع الدراما بأسلوب (التعلق بالحافة) أو Cliff-hanger..

ودخلت إلى الحمام الصغير الملحق بالحجرة.. كانت هناك مرآة تأكل طلاؤها البراق بفعل الزمن تعلو الحوض..

غسلت وجهي وتأملت انعكاسه في اهتمام...
نعم هذا حق.. لقد زحف الشيب على خصلات كثيرة من شعري الذي كان فاحمًا.. لقد أحرق الهول سواد رأسي إن صح تعبير بلاغي كهذا..
والجديد هنا هو أنني فقدت الأثر الوحيد الذي يؤكد لي أنني لا أهذي...

❋ ❋ ❋

ابتعت كتاب (تفسير الاحلام) من إحدى دور كتب التراث، وفي الكافتريا إياها رحت أرشف عصير الليمون البارد، وأقرأ هذا العمل المرهق الذي أخرجه (ابن

سيرين).. وقد سرني أنه أقرب إلى معجم تبحث فيه عن ضالتك، فلا تضطر لقراءة كتاب كامل حافل بـ (العصابات) و(النكوصات) و(الكبت) كما هو الحال مع (فرويد)..

وقد وجدت التالى:

- من رأى أن الشيطان يتبعه فإن له عدوًا يخدعه ويغريه وينقص من عمله.
- دخول القلعة يدل على الرزق والنسك في الدين.

ثم عشرات التفسيرات لكل جزء من الحلم يستحيل أن تتسق لتكون تفسيرًا واحدًا متجانسًا.. إن الأمر أعسر مما ظننت..

إنني أعرف جيدًا أن ما أمر به هو عرض فريد لا يمكن أن أجد له جوابًا في

أي كتاب..
كان هذا حين وصلت (إيناس)، فأخفيت الكتاب بين طيات جريدة أحملها فأنا لا أريد أسئلة فضولية ترهقني بها...

* * *

خمسة أيام مضت على تعرفي (إيناس)...
وفي كلّ مرّة كنت أشعر أكثر أنني لا أجرؤ على التفكير في الحياة بدونها.. وبعد عشرة أيام سيكون الفراق محتومًا.. عندئذٍ سأتذكر قول الشاعر العربي:
عجبت حين تركتها كيف لم أمت...
وكيف انثنت بعد الفراق يدي معي!

عجبًا لي! إنني رجل متزوج ناضج لكني أفكر كالمراهقين..

لكنني أستطيع القول إن سر تعلقي بها هو حاجتي إلى صديق.. وقد كانت (إيناس) صديقًا طيبًا ذكيًا.. صحيح أنه صديق طويل الشعر ويلبس الحذاء ذا الكعب ويضع عطر (الفام شيك).. لكنه لا يزيد على صديق أعتز بصداقته..

قالت لي صديقتي (إيناس) بلهجة من يقرر أمرًا منتهيًا:

- «إن (مها) تدعونا إلى رحلة ريفية غدًا..»

- «(مها)؟»

- «نعم.. صديقة تعمل بالتدريس معي.. وهي تدعونا إلى يوم كامل في العزبة التي

تملكها الأسرة جوار الإسكندرية..»
قلت لها في سأم وأنا أستدعى النادل بإشارة من يدي:
- «وما دخلي بهذا؟ إنها تدعو صديقاتها.. وأنا ليس لي صفة رسمية من أي نوع..»
ضحكت ضحكتها الهادئة التي تعلن أن ما تقوله ليس هراء.. وقالت:
- «لا أحد يحدد لي أو لك صفتك الرسمية أو عدمها.. أنت إنسان مهذب محترم يهمني أمره.. لهذا دعوتك.. وهي لن ترفض.. ثم إنك لن تكون الرجل الوحيد.. هناك ثلاثة مدرسين آخرين مما يجعل الرحلة ذات طابع رسمي تربوي لا بأس به..»
تنهدت وقلت لها:

- «لا بأس.. سأقبل لأنني لا أعرف شيئًا آخر أفعله.. ولا أريد أن أفتقدك يومًا كاملًا..»

نظرة تحذير في عينيها:

- «هأنتذا تحاول أن تلعب دور المغازل.. لقد أنذرتك!»

تداركت نفسي على الفور:

- «لا.. إنها مُجاملة لا أكثر ولا أقل.. مُجاملة..»

❋ ❋ ❋

وفي سيارة الأجرة التي تحركت بالمجموعة؛ أمكنني أن أحدد أنماط الموجودين دون عناء.. وهم جميعًا -

كالعادة ـ أغبياء باستثناء (إيناس) التي تملك وجه فتاة وعقل رجل وقلب شيخ..

إلى جوار السائق جلست أنا وشاب متظرف يدعى (محيي)، لا يكف عن إلقاء الدعابات السخيفة التي يضحك منها أكثر من الآخرين، كأنه يسمعها للمرة الأولى.. وهو خطيب الفتاة التي تجلس ورائي.. واسمها (غادة).. وهي جديرة به حقًا..

يوجد زوجان: موجه بالتربية والتعليم يدعى (سيد الشمندوري) ومعه زوجته الحامل في شهرها السابع وهي مدرسة تدعى (هويدا عبد المنعم)!

(ملحوظة: د. (رفعت):

أخيرًا خبر عن (هويدا)! حسبتها ماتت أو هاجرت.. يبدو أنها اندمجت تمامًا في

عالمها الجديد بعد عام من الزواج.. آمل ألا يعرف (هـ) هذا أنها كانت خطيبتي يومًا...)

من ضمن الركاب أيضًا (مها) - صاحبة الدعوة - وهي حسناء في التاسعة والعشرين من عمرها، ومعها خطيبها (عبد الرحيم).. ويمكن القول إنهما اكثر الموجودين قابلية للاستلطاف.. ويمكن ابتلاعها دون جهد كثير..

المزروعات تتسابق على جانبي السيارة ونحن نقصد ذلك المكان الذي سنقضي فيه يومنا.. مجموعة متعارفة متجانسة فيما عداي أنا.. لهذا لم يوجه لي أحد كلمة طيلة الطريق.. وسمعت بضع همسات عن شخصي ومن يكون بالضبط..

أراهن على أنه سيكون (أطول يوم في التاريخ) مع كل هذا الملل...
والحق أنه كان كذلك..
ولكن لأسباب أخرى ليس الملل من بينها!

* * *

٩ - عزبة ما..

لن أذكر لك اسم العزبة.. لكنّها قريبة من (أبو حمص) إلى حد كبير.. ولقد وصلنا هناك عند الظهر.. فترجلنا..

شرعت (مها) تقودنا إلى دار أبيها، وهي تثرثر دون انقطاع عن كل شيء.. منذ جاء أبوها إلى هذا المكان وابتاع عددًا متزايدًا من الفدادين.. وراح ينميها بجهده وعرقه...

طبعًا لم يفُتها أن تهاجم التأميم الذي قلص ثروتهم إلى حد مروع.. وكيف انكمشت ممتلكات الأسرة إلى هذه العزبة الصغيرة،

وما حولها من فدادين لا تكاد تكفي لأعباء الحياة، خاصة أن مال الأرض هو مال مجمد لا يمكن الاستفادة منه إلا بعد عناء..

تدخل أحد المدافعين عن الثورة وراح يناقشها ـ في كثير من الحدة - حول حق أبيها في أرضه هذه، وعن الاشتراكية.. و.. و...

لكني كنت شاردًا في خواطري الخاصّة..

إن حقل القمح الذي نمر بجواره هذا يبدو مألوفًا.. حقل كأنما رسمته ريشة (فان جوخ) منذ دقائق..

* * *

وسمعت صوت (إيناس) تصيح في انبهار:

- «(مها)! لم أدر قط أنكم بهذا الثراء..»

كانت تشير إلى دار الأسرة.. لا لم تكن هذه دارًا تلك الواقفة أمامنا في فخر تستمتع بضوء الشمس الشتوية..

كانت قصرًا..

قصرًا فخمًا من طابقين تم بناؤه باستمتاع وحب، بأيدي بنائي الماضي الذين عشقوا عملهم واتقوا ربهم، فجاء قطعة من الفن الرفيع.. خليقة بأن تكون قصرًا لأحد بارونات النمسا أو سادة انجلترا الإقطاعيين...

شهقات الانبهار تتصاعد من الصدور.. وثمّة شعور عام غمرنا بأن (مها) تملك

بالتأكيد ما هو أكثر من (ما يكفي لأعباء الحياة).. إن هذه الفتاة تتصنع الفقر كما هو واضح..

ومع هذا الشعور مازجنا شعور عدائي انتصرنا عليه سريعًا.. إذا لم يحجم التأميم أملاك هذه الأسرة فماذا يحجم إذن؟**!**

أما أنا فكنت في أسوأ حال من الحيرة والتشتت..

هذا القصر.. هذا القصر اللعين..

أكاد أقسم إنّه هو**!**

***   *   ***

كانت ركبتاي موشكتين على التخاذل... والعرق البارد يبلل موضع شاربي، مع

ميل للغثيان غير هين..
الحق أنني شعرت لهنيهة بقرب الإغماء..
ثم تمالكت نفسي ووقفت كرجل أصافح والد (مها).. رجل ضخم الجثة كث الشارب أشيبه.. فيه ذلك الاعتداد التركي بالنفس - وأنا أمقت المعتدين بأنفسهم كما قلت ـ حتى توقعت أن يصيح فجأة فينا (أوغلي كلاب)! ثم يجلدنا بالسوط ويربطنا إلى جذوع النخيل..
رجل كهذا ـ حتمًا ـ لم يصنع ثروته بالعرق.. بل هو من هؤلاء المحظوظين الذين وهبهم الحظ هديته العظمى: الميراث... إن (مها) تخدعنا على القصر.. الأرجح.. تحاول أن تجمع إلى ثراء أسرتها نبل المحتد والعصامية - وهي صفة

مستحبة بعد الثورة - والعلم.. وإلا فلماذا تصر على أن تكون مدرسة؟

دعنا من هذه الخواطر إذن وتعال معي ندخل القصر..

درجات السلم ثم الباب الخشبي العملاق الذي ينفتح دون صرير.. برغم انك تتوقع ذلك...

هل يذكرك هذا بشيء ما؟؟

* * *

رواق طويل نمشي فيه مع الثرى الريفي..

نظرات تجمع الانبهار بالحسد في العيون.. و(إيناس) تهمس في أذني:

- «كأننا في أحد أفلام (فاتن حمامة) القديمة.. لن أندهش كثيرًا لو رأيت (عماد حمدى) خارجًا من أحد الأبواب..»
- «وأنا كذلك.. أخشى أن يستحيل المشهد (أبيض وأسود) في أية ثانية!»
ومن جديد ينبض فؤادي في هلع..
الشمعدان الفضي.. الستار الأحمر سليم غير ممزّق.. لكنه هو ولوحة جدارية مغبرة عليها فارس يغرس رمحه في قلب أسد..
ثم ذلك الرواق الطويل.. في نهايته الحجرة.. الحجرة التي دعوت الله ألا تكون هناك...
هل هذا كابوس آخر أعيشه؟

ربما أصحو الآن لأجد نفسي في الفراش.. وعندها تكون هذه الرحلة أكذوبة لا أكثر من نسج خيالي..

من يدري؟ ربما (إيناس) نفسها أكذوبة.. جزء من حلم كبير أراه وأنا في فراشي بالقاهرة بعد عشاء دسم...

من يدري؟ ربما حياتي كلها حلم.. حلم يراه طفل يغفو على صدر أمّه بعد رضعة دافئة...

إن من الأحلام ما يبدو أكثر واقعية من الواقع ذاته.. وليست كلها متجلية من النوع الذي يعرف معه الحالم أنه يحلم...

ولكن.. كيف أتأكد؟ أنا أشعر بكل شيء وأسمع كل شيء..

أملك الإحساس بأطرافي ورأسي..

حتى حين لدغت ساعدي بعنف شعرت بالألم يحرق أعصابي..
هذا حق...
بالتأكيد هو حق...

* * *

جلسوا في الصالون الكبير - طراز (لويس السادس عشر) - يتنالون الشاي والمرطبات.. وقال الأب وهو يتوكأ على عصاه ذات المقبض الأبنوسي المنحوت على شكل رأس أسد:
- «ستكونون ضيوفنا لمدّة نصف ساعة.. بعدها أنتم أحرار.. لن نثقل عليكم

بصحبتنا.. تنقلوا في البيت كما ترومون.. وافعلوا ما تبغون في العزبة..»

ثم أشار إلى ابنته (مها) التي كانت تموت فخرًا.. وأردف:

- «إن (مها) ستريكم كل شيء.. يمكن لمن يرغب أن يصطاد السمك من الترعة.. أو يستمتع بركوب الخيل.. وعندما تجيء الرابعة عصرًا سأنتظركم في القاعة لتتناولوا غذاء أعددته لكم.. وهو معبر بدقة عن الكرم (البحراوي)..»

كانت هذه هي الكلمة النهائية من (الزعيم)..

فنهضنا شاكرين كرمه.. وغادرنا المكان..

لم أستطع أن أحب هذا الرجل برغم لطفه.. برغم تطفلي المخجل على داره.. فقد دعتني (إيناس) لأن (مها) - التي لم ترني قط - قد دعتها.. ولو كنت إنسانًا ذا شعور تقليدي لانتحرت خجلًا..

تفرق القوم في أرجاء القصر، وراحوا يتفقدون كل شيء.. لابد أن (لجنة المصادرة) الثورية لم تفعل ما فعلوه بتحف هذا القصر، حين جاءت هنا منذ أكثر من عشرة أعوام...

بوقاحة يتأملون ويقلبون كل شيء.. بل تجاسر أحدهم - زوج (هويدا) هذه - وزحف تحت إحدى الموائد ليدرس تكوينها، كأنما هو ميكانيكي يفحص سيارة..

كنت أصبو إلى الانفراد..
والانفراد هو ما قمت به...

❋ ❋ ❋

بخطى ثابتة مشيت إلى الباب الموصد في نهاية الممر..
بحثت في جيبي حتى وجدته.. فهو لم يفارقني يومًا...
كان ما أريد هو مفتاح غريب الشكل يمتلئ بتلك الزخارف.. حين كان الناس يملكون الوقت والبال الرائق لعمل منمنمات كهذه..
ونظرت للوراء في حذر.. ثم أولجت المفتاح قي ثقبه..

إنه يدور! عنيد ثقيل لكنه يستجيب..
كما في ذلك الكابوس تمامًا...
فماذا سأجده في هذه الحجرة إذن؟!
....

❋ ❋ ❋



ونظرت للوراء فى حذر . . ثم أولجت المفتاح فى ثقبه . . إنه
يدور ! عنيد ثقيل لكنه يستجيب . .

١٠ - أين أنا؟

ظلام دامس بالداخل..

لكني كنت أذكر أن الكابوس بدأ بالظلام كذلك، ثم إن الظلام انقشع واستطعت أن أرى الشيء بانتظاري..

وقفت في الظلام أنتظر أن يحدث الشيء ذاته، كان ذلك حين سمعت صوت جلبة..

فهرعت إلى خارج الحجرة، وأولجت المفتاح في القفل كي أغلقها.. فأنا على كل حال لم أكن راغبًا في أن أحبس نفسي بداخلها..

هنا سمعت صوت (إيناس) تقول:

ـ «أين ذهبت؟ إننا نتفقد المكان بكل حقد المطحونين!»
ارتبكت.. ولم أجد ما يكفي من الوقت إلا لأدس المفتاح في جيبي، ثم ألتفت إليها مبهور الأنفاس وأنا أسند ظهري إلى الباب..
قالت لي في دهشة:
ـ «ماذا دهاك؟ تبدو موشكًا على فقدان الوعي..»
- «هذا صحيح.. إنّه الجو الخانق كما تعلمين»
قالت مشيرة إلى الجمع الواقف في المدخل:
ـ «إذن تعال.. لا تبق هنا.. إننا ذاهبون لنرى هذه العزبة.. هل تحسن صيد السمك

أو ركوب الخيل؟»

- «إنني أفعل كل شيء في الأحلام.. أمّا في الواقع فلم أجرب بعد..»

- «إذن... هلمّ...»

إن هذه الحمقاء - وهذا واضح - لا تزمع أن تتركني وشأني ثانية واحدة.. فلن تسمح لي بتفقد الغرفة خلسة..

ولن تسمح لي - وتلك مصيبة - بإعادة غلقها..

أشعر أن شرًا مستطيرًا يكمن في هذه الغرفة.. ومن الخبال أن أفتح بابها ثم لا أغلقه بإحكام بعد ذلك..

ولكن.. كيف تفعل ذلك؟ كيف تفسر؟

❋ ❋ ❋

في الخارج؛ حيث غمرت شمس الشتاء البهيجة المكان.. فبدت كقبلة الكون على جبين الطبيعة المدللة..

شمس الشتاء التي تتخلل العظام حتى النخاع فتذيب الجليد.. وتشع الحرارة من ثيابك كفراء هريرة ناعسة...

(سيد الشمندوري) يركب حمارًا طفلًا وقد بدا عليه الفخار والسرور.. بينما امرأته (هويدا) تهرول إلى جواره، وهي تمسك ببطنها المنتفخ حافية القدمين، تطلق ضحكة بلهاء تلو ضحكة بلهاء..

وإلى جوارهما يركض فلاح صغير السن والحجم، يضرب كفل الحمار ضربًا رفيقًا بعصاه، ويتساءل عن شأن هؤلاء الحمقى

القادمين من (الإسكندرية) كى يركبوا حمارًا..
أما (مها) وخطيبها (عبد الرحيم) فراحا يحاولان (تسلق) ظهر حصان أبيض بارع الجمال.. وكعادة الرجال يتظاهر (عبد الرحيم) بأنه فارس أبًا عن جد.. وأنه ولد ومن تحته حصان مطهم..
يجيء دور (محيي) و(غادة) اللذين ذهبا إلى الماء ليطعما الأسماك، ولتطلق الفتاة صرخات الذعر الهستيريّة كلما أمسكت دودة بين أناملها لتضعها في الشص.. وهو شيء يتكرر كل خمس دقائق..
أما أنا و(إيناس) فسرنا الهوينى جوار شط الترعة، صامتين كالأسماك نتأمل الطحالب الخضراء العائمة فوق المياه..

ونرنو إلى فقاقيع الماء القادمة من القاع.. ألأسماك هي أم لضفادع؟
لا أدري حقًّا.. لكني لم أحب كثيرًا نظرات الفلاحين الفضولية - والساخرة قليلًا - إلينا..
بعد هنيهة قلت لـ (إيناس) دون أن أنظر إليها:
- «لقد رأيت هذا المكان من قبل..»
قذفت هي بحجر في الماء، وراحت ترمق الدوامة المتسعة من حوله، ثم تنهدت ولم ترد..
قلت لها مؤكدًا:
- «ليس الأمر كما تظنين.. هذا القصر محفور في داخلي..»
ابتسمت وقالت دون حماس:

- «هذا يحدث..»
- «إنّه يزور أحلامي بكل تفاصيله..»
قالت وهي تقذف حجرًا آخر:
- «إنها ظاهرة (ديجا - فو) الشهيرة..»
- «(ديجا) ماذا؟»
- «(ديجا - فو).. ألا تعرف الفرنسية؟ (شوهد من قبل).. حين ترى إنسانًا فتحسب أنك رأيته من قبل وأنت لم تره قط.. أو تزور مكانًا يملؤك اليقين أنك زرته برغم كونك لم تزره قط..»
- «إنك واسعة العلم.. وماذا تعني هذه الظاهرة؟»
مطت شفتيها في استهتار وقالت:
- «لا شيء.. يقولون إن الدم يتأخر في الوصول إلى فصك الصدغي الأيمن..

وعندما يصل إليه يكون ما يراه هو ذكرى بالنسبة إلى الفص الصدغي الأيسر.. إن التفسير معقد.. لكننى فهمت منه هذا الذي أقوله لك..»

- «تعنين أنني لم أر هذه العزبة قط؟»

- «حتمًا.. إنها دعابة فسيولوجية ثقيلة.. ولكن الناس يرفضون هذا التفسير المحبط.. لأن كل إنسان يحبّ أن يجد في نفسه نوعًا من شفافية الأولياء..»

أنا أرفض هذا التفسير لحالتي..

أنا بالتأكيد رأيت هذا المكان مرارًا..

ثم إنني أملك دليلًا ماديًا لا يناقش.. بل عشرات الأدلّة التي وجدتها في فراشي في كل ليلة سوداء صحوت فيها من كابوس...

ولكن ما معنى هذا كله؟

ـ «أنت تجيد الركوب حقًّا يا (سيدو)!»

كان هذا هو صوت (هويدا) التي تركض بجنبينها جوار الحمار، وتدلل زوجها البدين بهذا الاسم.. ما هي الإجادة في ركوب حمار رضيع ارتفاعه عن الأرض أقل من متر؟

كيف وجدت هذه الفتاة من يتزوجها؟ وبأية معجزة؟!

* * *

كان الغداء حافلًا بحق...

إن كتب تاريخ الحمام والبط والأوز ستخلد هذا اليوم، باعتباره يوم المذبحة.. كما نخلد نحن تاريخ قنبلة (هيروشيما)[5]

ولما كنت أنا محرومًا من طعام البيت منذ فترة كأنها دهر؛ فقد قاتلت كالأبطال في حومة الوغى..

وجاء وقت انتهاء هذا المشهد الجهنمي، وكنا جالسين على الأرض حول الأطباق وآنية الطعام في القاعة الكبرى..

فلما فرغنا من احتساء الشاي جاء خادم ريفي يدعونا إلى غسيل الأيدي..

وتزاحمنا صفًا أمام الحمام كل ينتظر دوره، وقد أبعد يديه الملوثتين عن خصره، وراح يلوك بقايا الطعام الشهي التي علقت بأسنانه.

ثمة شعور بالرضا عن الحياة يغمر الجميع..

وكانت هذه هي فرصتي..

تراجعت إلى الوراء قليلًا.. وفي خفة الحملان - الحملان البدينة طبعًا - مشيت إلى المدخل.. ولم يكن هناك من يراني..

إن ما أريده هو الباب..

الباب الخشبي الذي لم أجد الوقت كي أوصده بالمفتاح..

لكني - حين وقفت أمامه - أيقنت أنني تأخرت بعض الشيء..

لقد كان الباب مواربًا...

❋ ❋ ❋

بلمحة من عيني رأيت الرواق المظلم إلى اليمين..

الرواق الذي كنت أعرف جيدًا أنه مسدود.. وأن مشاعل منطفئة كثيرة معلقة على جداره الذي ازدان بالطحلب والعفن.. كل هذا لم أره.. لكنى أيقنت بوجوده..

هل أفعل؟

لِمَ لا..؟

ومن جيبي أخرجت قداحة، وأشعلتها..

نعم.. هذا حق.. إن الممر يمتد لمسافة ثلاثين مترًا ثم ينتهي بجدار.. وجانبا الممر مغطيان بالعفن والطحالب..

أما الأكثر إثارة فهو أن كوة صغيرة مستديرة توجد في نهايته..

إن هذا مثير..

مثير إلى درجة الرعب..

* * *

مشيت إلى نهاية الممر..
كان الفضول يقتلني..
وبيد مرتجفة أخرجت
(هل هناك من يتحرك ورائي؟)
قداحتي.. وأدخلت يدي بها في الكوة..
حاولت أن أتبين شيئًا..
لكني على الأقل لمحت المنحدر الوعر الذي يقود إلى أسفل..
ولم أستطع أن أقاوم أكثر.. لم يكن هناك من يراني وبالتأكيد لن يفتقدني أحد.. لماذا لا أكرر الحلم بحذافيره إذن؟
اجتزت الكوة بصعوبة - إنني أقل بدانة في الحلم - ورحت أتدحرج فوق المنحدر،

محاولًا ألا أفقد توازني..
وفي النهاية وجدت أنني أقف في القبو - ذات القبو المريع الذي قابلت فيه (النكرومانسر) في الكابوس...
لم يكن هناك (نكرومانسر)...
ولم يكن هناك ما يدل على أن طقوسًا تمارس في هذا المكان.. هذا متوقّع.. فأمور كهذه هي من صميم عمل الكوابيس ولا مجال لها هنا.. كفاني بالمكان رعبًا..
أزمعت العودة.. ويعلم الله وحده كيف سأتمكن من تسلق هذا المنحدر ومغادرة المكان..
هنا اصطدمت ساقي بشيء معدني..
ولم أحتج لأن انحني كي أعرف ما هو..

إن ضوء القداحة كاف جدًا لأرى القدر المقلوب على جانبه، والذي كان (النكرومانسر) يمارس فيه شيئًا ما في الكابوس...

أنا من قلب هذا القدر...

ومعنى هذا أنني كنت هنا حقًّا....

❋ ❋ ❋

خاتمة الجزء الأول

مازلت إذن مع خطاب (هـ) الذي يستطرد قائلًا:

كانت الحيرة تغمرني يا د. (رفعت).. وصرت عاجزًا تمامًا عن تمييز الحلم من الحقيقة..

تسلقت المنحدر بصعوبة بالغة.. وحشرت جسدي في الكوة.. لكنّ نصفي السفلي ظل في القبو لأن أردافي ممتلئة إلى حدٍ ما بفعل كثرة الجلوس...

كان لابد من أن أجذب أكثر وأحرك جسدي يمينًا ويسارًا كسدادة زجاجة من فللين تحاول انتزاعها..

وهنا شعرت - ولك أن تدرك مدى هلعي - بمن يحاول جذبي إلى القبو ثانية!

قبضتان قويتان أطبقتا على كاحلي، مع جذب إلى الوراء دون هوادة.. أصدرت أنة وفتحت ذراعي عن آخرهما لتعملا كحاجز يمنع جسدي من المرور...

ثم تحررت قدمي اليمنى.. وهي غلطة شنعاء ممن يمسك بي لأنني أتميز بقدرة لا بأس بها على الركل..

وكانت الركلة قوية حقًّا، من كيان إنسان لا يمقت شيئًا في العالم سوى أن يرى وجه الممسك به...

عندها تخلت اليد اليسرى عن الكاحل الأيسر.. وبأقصى ما استطعت قذفت نفسي خارجًا من الكوة..

ً

وعبرت حقًّا في هذه المرّة...
والآن هأنذا أتكوم في الظلام عند طرف الرواقِ أسفل الكوة.. أرتجف.. وأتساءل: هل حقًّا مررت بما مررت به؟
ونهضت عائدًا إلى الباقين.. الصحبة الآدمية...

❋ ❋ ❋

وفي شرفة الدار وقفت أرمق الحقول الممتدة أمامي.. الحقول التي رسمتها فرشاة (فان جوخ) منذ ثوان...
وتساءلت..
أنا لا أومن بتناسخ الأرواح.. فمن المستحيل أن أكون قد عشت في هذا

القصر من قبل كأمير أو باشا قديم..
أتكون هي عادة الجوال الليلي أو المشي في أثناء النوم؟ أحتاج إلى قدر غيرعادي من الحماسة كي أغادر فراشي في القاهرة وأركب إلى (أبوحمص)، ثم أستقل مواصلة أخرى إلى هذه العزبة، لأجول في أقبية هذا القصر وأواجه ما به من مسوخ..
لو كان هذا صحيحًا لاحتجت إلى ثماني ساعات كل ليلة في هذا السفر المرهق..
أم أنني عشت في هذا القصر يومًا ما في زمن سحيق، ونسيت كل شيء عن هذا؟
ومن هوهذا الجاثوم؟ ولماذا لا ألقاه إلا في آخر الليل؟ ومن الذي فتح باب الحجرة التي لم أحسن غلقها بالمفتاح؟
أيكون هو الجاثوم وقد حررته بحماقتي؟

وما هو لغز (مها) وأبيها؟ ولماذا قصرهما بالذات؟

* * *

هل تملك إجابات يا د. (رفعت)؟
بالطبع لا.. لأنك تجهل كل شيء عن دنيا ما وراء الطبيعة.. فقط لم تكف عن الثرثرة يومًا عن مصاصي دمائك ومذءوبيك وكهنتك الحانقين طيلة الوقت.. لكنك لا تصلح لحل المشاكل أبدًا..
في الصفحات القادمة أدعوك أيها الساذج إلى خبرة جديدة لم تخضها قط.. أنا خضتها بدلًا منك..

وعندها عرفت إجابات أسئلة لم تخطر ببالي قط.

[تم الجزء الأول]

رقم *الإيداع:* ١٦٠٦

المطبعة العربية

الحديثة

٨ و١٠ شارع ٤٧

المنطقة الصناعية

بالعباسية

القاهرة ت:

٢٨٢٣٧٩٢ -

٢٨٣٥٥٥٤

الفهرس

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

روايات مصرية للجيب



اليوم نُقَدِّم لكم موضوعًا مُسليًا إلى حدٍّ ما : الكوابيس التي تترك في فراشك أثرًا ماديًا مؤكدًا .. مشعلاً – على سبيل المثال – أو مفتاحًا أو يَداً مبتورة...، وهذه الظاهرة لا تحدث إلا آخر الليل حين يظل النهار بمنأى عنك .. لكنك تتعلق بالأمل في أن يجيء سريعًا!



د. أحمد خالد توفيق

العدد القادم:

أسطورة الجاثوم



الثمن في مصر ﮅ
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

Notes

[←1]

يُسمّى (فرويد) هذا الضرب من الأحلام باسم (أحلام المنبه).

[←2]

Oneiromancy وهو علم حقيقي يعترف به الصينيون

[←3]

النكرومانسي: ضرب من السحر الأسود قائم على استجواب جثث الموتى، والنكرومانسر هو من يمارس هذ العمل الشنيع..

[4←]
يعني رواية (ميرامار) لـ (نجيب محفوظ).

[←5]

٦ أغسطس عام ١٩٤٥.. بالمناسبة لا أكثر!